الصالونات الثقافية

وأثرها في الوعي العام

د. محمد حسن عبدالله

الكتاب: الصالونات الثقافية.. وأثرها في الوعي العام

الكاتب: د. مُحَمَّد حسن عبدالله

الطبعة: ٢٠٢٣



الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

عبدالله، د. مُحَمَّد حسن

الصالونات الثقافية.. وأثرها في الوعي العام / د. مُحَمَّد حسن عبدالله

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٧١ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٨ – ٦٦٦ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع: ٤٣٧٥ / ٢٠٢٣

الصالونات الثقافية

وأثرها في الوعي العام



هذه الدراسة ذات نهج خاص، وتكوين انفرادي لطبيعة الموضوع الذي تعرض له، وقد انقسمت في قسمين:

القسم الأول: الصالون الثقافي: تاريخه وحاضره وتحولاته

القسم الثاني: الصالون الثقافي: صور قلمية ووثائق.

القسم الأول

الصالون الثقافي: تاريخه وحاضره وتحولاته

١- مقدمة في اتجاه الصالون

كم يبدو عنوان هذه الدراسة مألوفا، وربما سطحيا أيضا، بتأثير الظن بأمرين: أن الصالونات الثقافية تبدو – للنظرة العجلى – ظاهرة مرحلية أو وقتية، مثل فيضان النهر الموسمي أو اشتعال نار الحطب، يتراجع الفيضان كما يتحول اللهيب إلى رماد في وقت معلوم، ولولا التفات الصحافة الاجتماعية وصفحات الثرثرة الثقافية ما عرف بهذه الصالونات غير روادها! الأمر الثاني أن عصرنا الراهن عصر ثقافة الصورة المرتهنة بالإبهار (البصري) والحركة والدرامية (التي يحرص عليها المصور حتى في التقاطه للصور الساكنة) بما (قد) يعني – في النهاية – أن الصالونات الثقافية تسير في الاتجاه المعاكس لحركة المستقبل، ومن ثم فمصيرها أن تضمحل.. وتذوب!! وهذا الافتراض خاطئ، وحجته منقوصة (عرفت شيئا وغابت عنها أشياء). وليس من المستنكر في الطرح العلمي لرصد ظاهرة وتعقب حالاتها وتحولاتها أن يدلي " الباحث " بشهادته إذا كان ضالعا فيها بصورة أو بأخرى، ولعل هذه الرابطة " الشخصية " هي بعض ما دفعني إلى اختيار موضوع الصالون مجالا للطرح العلمي، مع أسباب ودوافع أخرى

بالطبع[1]. ولعل هذه الإشارة البدئية تساعد على ما ينبغي أن نتنبه إليه، وهو " تحرير " صورة الصالون الثقافي من سيطرة الماثل الراهن، دون أن يفقد ما هو جوهري في تحقيق شرطه، وسيكشف لنا هذا عن تعدد الصور ووحدة الوظيفة – كما نرى – ونوضح ما نريد بأمثلة من القديم والحديث والمعاصر مما يقبل بشرطه، أو يستبعد لفقدان الشرط – فشرط " الصالون " الأساسي أن يكون في مكان معين ثابت، وأن يتكرر بوتيرة ثابتة في زمان محدد، وأن يكون في رعاية " شخصية " ذات اعتبار وحضور في المحور أو المحاور الثقافية التي تشغل رواد الصالون وتعطيه لونه وطابعه (شخصيته)، وأن يكتسب صفة العمومية بالنسبة لرواده، فلا يكون مغلقا على أعضاء أسرة، أو سلالة، وإن جاز أن يكونوا بين الحاضرين أو أكثر الحاضرين دون أن " يستأثروا " بالهيمنة الفعلية على المكان. هذه هي الشروط الواضحة التي تقيم دعائم الصالون الثقافي[2]. وإعمالا لهذه الشروط فقد استبعدنا ما يطلق عليه " مجالس الخلفاء " حتى وإن تنوعت المادة الثقافية المتداولة في مثل هذا المجلس، لأنها لا تطرح الشأن العام، ولا يحضرها إلا خاصة الخليفة، ومن قد يرى منحه الإذن بالمثول مرة أو مرات بدافع خاص مثل إنشاد قصيدة هي مدح في الخليفة بذاته وليست في الشأن العام أو المشاعر الخاصة، ويمكن أن يقاس على مجالس الخلفاء مجالس القصاص التي عرفتها المساجد في عصر بني أمية خاصة، ثم تراجعت أو ازدهرت حسب مقتضيات التطور الاجتماعي وطروء الأحداث العنيفة مثل زمن الحروب الصليبية، على الرغم من التباعد الظاهري في شكل كل من مجلس الخليفة، ومجلس القاص في المسجد، إذ أنهما يلتقيان في هيمنة توجيه محدد

على ما يقال وعدم السماح بما يخالفه أو يتجاوزه. من ثم تختلف " مجالس العلماء " عن " مجالس الخلفاء "، حتى وإن تشكل حضورها من أستاذ وتلاميذه، يقوم بالإلقاء ويقومون بالسماع أو التسجيل الكتابي (وقد تكونت كتب " الأمالي " بهذه الطريقة التعليمية) فمع الأخذ بالاعتبار أن مجالس العلماء هي البديل القديم للفصل الدراسي، وقد ظلت هذه الطريقة معولا عليها إلى أوائل القرن العشرين في الجامع الأزهر، والمساجد المشابهة في العواصم العربية، فإن مثل هذه المجالس كانت مفتوحة لمن يرغب، وتتقبل الحوار، ولا ترفض الاختلاف الذي قد يصل إلى الاحتجاج ومغادرة المجلس بما يعني الرفض!! كما أن بعض مجالس العلماء كانت تتجاوز التخصص وتقبل تنوع الموضوعات بما يتيح لها أن تتجاوز دائرة التعليم إلى دائرة الثقافة. شهد المسجد الأقصى بالقدس، والمسجد الأموي بدمشق، وجامع عمرو بن العاص في الفسطاط، وجامع الزيتونة بتونس، والمسجد الجامع بالبصرة، ومسجد قرطبة طوال مجدها الإسلامي.. شهدت هذه المساجد وغيرها مجالس علمية متنوعة تجمع جمهورها حول العلماء يسمعون منهم ويتداخلون معهم، ويقبلون عليهم أو ينصرفون عنهم(٣).

فمن مجالس العلماء: مجلس أبي عمرو بن العلاء، ومجلس الأصمعي، ومجلس الكسائي، ومجلس حماد الراوية، ومجلس ثعلب،و مجلس ابن الجوزي، ومجلس الفراء(٤)، وهي في جملتها – تعني برواية الشعر وقضايا اللغة، فضلا عن تسجيل المختارات الشعرية، والتعليق عليها، أو العكس، أي: طرح القضايا اللغوية والاستشهاد على صوابها أو نقضها بالشعر، كما يعنى بعضها بالوعظ، وتدل سياقات هذه المجالس أنها كانت تعقد في أماكن

خاصة بها؛ بيت صاحبها في الغالب، مما يعني أنه لم تكن مجالس العلماء في المساجد هي الصورة الوحيدة " للصالون " التاريخي، ففي مراحل مبكرة عرفت " صالونات " البيوت، وقد أشار " مروج الذهب " إلى مجالس الخليفة المأمون العلمية، ومن قبله مجلس يحيى بن خالد البرمكي، وكان يعقد كل ثلاثاء(٥). كما يشير شوقي ضيف إلى مجلس يوحنا بن موسويه ويصفه بأنه كان أعمر مجلس ببغداد(٦). بل تشير بعض المصادر إلى أن كتاب أبي الفرج الأصفهاني الضخم (الأغاني) كان ثمرة من ثمرات هذه المجالس، وفي الزمن ذاته حين عرف نظام نسخ الكتب والاتجار بها، اشتهرت دكاكين كبار "الوراقين" واتخذ منها بعض الأدباء أماكن مختارة يلتقون فيها بزملائهم وتلاميذهم، وقد شهر الجاحظ بأنه كان يكتري دكاكين الوراقين، ويبيت فيها للنظر.

وتعد دراسة يحيى وهيب الجبوري من أهم المؤلفات التي عنيت بالمجالس على تنوعها، في تراثنا العربي، فقد ضمن دراسته تعريفا وتصنيفا بالمجالس وأصحابها، ما بين مجالس اللهو والطرب، ومجالس العلماء (الرواة واللغويين) ومجالس الخلفاء، ومن بينهم يبدي احتفاءً بمجالس الخليفة المأمون، بأن يذكر تنوعها على تباعد المسافة في هذا التنوع، فللمأمون مجالس مع الشعراء والأدباء، ومجالس مع الأنس والطرب، ومجالس بين العفو والانتقام، ومجالس في الفصاحة والبيان، على أن مجالس المأمون المختصة بالقول في قضية خلق القرآن استأثرت بالفصل الرابع كاملا (ص ٣٠٥ – ٣٦٧) – ويمكن أن نراقب – عبر تنوع مجالس الخلفاء تعدد مصادر ثقافتهم مع حركة الزمن ومواكبة اتساع رقعة دولة الخلافة وتعدد

ثقافات الشعوب الداخلة تحت مظلتها. وفي مجالس الوعظ والمناظرة يبدي اهتماما بمجالس ابن الجوزي. على أن كتاب " الأغاني " وإن جاءت مادته غير ممنهجة في توزيع المحتوى وضبط السياق وتناسب الأقسام ليس الكتاب المتقدم في استخلاص مادته من المجالس، وإنما ينبغي أن يذكر في هذا المجال كتاب " الإمتاع والمؤانسة " لمؤلفه أبي حيان التوحيدي (توفي ٤٠٠ هـ) وهو كتاب ضم وصفا لأحاديث أدبية مختلفة، أو ما يمكن أن يسمى اليوم (مضابط جلسات) سامر بها أبو حيان وزير صمصام الدولة البويهي الحسين بن أحمد بن سعدان،خلال ثمان وثلاثين ليلة "[٧]

وقد تلفتنا ما يمكن أن يعد إشارة مبكرة نجدها متحققة في زماننا، وهي أن نسبة لا يستهان بها من " الصالونات " الموغلة في التاريخ العربي / الإسلامي كانت تؤسسها وترعاها نساء من مشهورات العصر في صناعة معينة علمية أو فنية. وقد ألف رابح لطفي جمعة كتابا بعنوان: " منتديات النساء الأدبية " أشار فيه إلى صالون عمرة في مكة – وهو مبكر جدا – (في النصف الأول من القرن الأول الهجري) كما يشير إلى مجلس سكينة، وعائشة (بنت طلحة منافسة سكينة في الشهرة والجمال وتأليف الشعراء، وأخيرا ضرتها في الزواج من فتى قريش الرائع: مصعب بن الزبير، أمير العراق إبان دولة أخيه عبدالله بن الزبير) كما يشير إلى نادي جميلة، وفي الأندلس تذكر " ولادة " في قرطبة، وعائشة القرطبية، ومن بعدهن: سارة الحلبية[٨]. لا نود أن يستدرجنا زهو التاريخ فنتوسع فيما ليس جوهريا في الطرح الحديث والمعاصر، فليس يعنى الوجود التاريخي لظاهرة ما أنها صالحة وفاعلة إلى زمننا، ولهذا نتوقف عند ما ذكر، وإن كان من المفيد أن

نستخلص معنى فهو ينحصر في ثلاثة ملامح: أن ظاهرة الصالونات الثقافية ذات وجود تاريخي يستحق أن نبرزه ونجلوه ونفخر به، وأن هذه الصالونات كانت إحدى قنوات الثقافة العربية العاملة على انتشارها في زمن لم يكن الكتاب متيسرا – فضلا عن وسائل التوصيل الأخرى، وأن نسبة عالية من هذه الصالونات قد تشكلت حول شخصيات نسوية حققت حضورها الاجتماعي عن طريق الانتماء لبيوتات مشهود لها بالدين، أو الأثر السياسي، أو الفني (وجميلة هي النموذج القريب لهذا الجانب الأخير)[٩].

٢- الصالون: فيه قولان

تختلف الأفكار والتصورات حول " الصالونات " إلى حد التناقض، فهي بين متحمس، متفاعل، مشارك يرى في انتشارها علامة صحة اجتماعية ونفسية وحضارية، ومستهين يحكم بانقضاء زمنها، وضعف أو تخبط جدواها، وانحرافها عن أهدافها، ولكل من الفريقين أسبابه واستدلالاته، وسنرى أنه عقدت ندوات خاصة في الصالونات محددة لمناقشة هذه القضية. ولا يغيب عنا – ونحن نعرض لها – استحضار مبدأين:

المبدأ الأول: أن "الصالون"[١٠] – مهما كان موضوعه أو اتجاهه أو مستواه – يعمل بين الناس، يتحقق بالمجتمع ، فهو ليس نشاطا فرديا ولا يصح أن يكون، قد يبدأ بفكرة فرد، أو إرادة فرد، ولكنه لا يأخذ صورته إلا بالحضور المتنوع العام، وبالاستمرار،

واستقرار النسق التنظيمي، ومن شأن الأنشطة التي تعمل بين الناس (العامة أو أهل اختصاص ما على السواء) أن تختلف الآراء حولها لأسباب موضوعية أو ذاتية (تحليلية أو تنافسية) من ثم يتوجب التمعن في الأسباب أيا كانت نتائجها.

المبدأ الثاني: وهذا يكشف عن طويتنا الخاصة – أن الأدب والفن الثقافة وغيرها من المنتج الوجداني البشري لا يكتمل وجوده إلا بحضور المتلقي، فلا معنى لإبداع يختزنه صاحبه فيغلق عليه صدره أو أوراقه، بل إن النظريات النقدية الحديثة ترهن مبدأ اكتمال الوجود بإغلاق الدائرة المكونة من ثلاثة أقطاب: المنتج، المتلقي، الناقد الذي يعني عدم الاكتفاء بالتلقي السلبي، فلابد من ناقد يعيد القول إلى المبدع ليقوم تجربته الآتية، وإلى المتلقي العام، ليوثق علاقته بالإبداع ويرشِّد المعرفة بأن يضعها في مكانها الصحيح[11].

لا يغيب عن بالنا أن المبدأين أقرب إلى التبرير ولا يحملان معنى الحتمية، فليس "الصالون" هو المكان "الوحيد" الذي يمكن أن يلتقي فيه المنتج الثقافي ومتلقيه، وإنما هو إحدى الوسائل، ومن هذا الطرح ينبغي علينا أن نبحث عن "حوافز" و "فوائد" تنطلق من هذا الاحتمال أكثر مما يستطيع غيره أن يحققها. وهنا نبدأ بذكر "السلبيات" التي تهوّن من شأن ثقافة الصالون، أو تحبط جدواه بالكلية. وقد يعتمد المنكرون لجدوى الصالون على حركة الزمن وتعدد وسائل المعرفة، فيعترفون له بوظائفه الإيجابية في أزمنة مضت اتسمت ببطء حركة انتقال الثقافة، وأنها كانت

وقفا على قطاع محدد من المجتمع، وأن المدن كانت صغيرة والحركة فيها يسيره، ولم تكن وسائل الإبهار العصرية في السينما والمسرح والتلفزيون قد اقتحمت على الناس حياتهم بأقل كلفة ودون أن تحملهم مشقة الانتقال أو مجالسة من قد لا ترغب في مجالسته، فضلا عن إبهار الصورة والحركة وسرعة الإيقاع.. إلى آخره. أما المؤاخذة / الملاحظة المستمدة من مراقبة جانب من صورة واقع الحال فهي أن أكثر ما يلقى من أقوال ويبدى من آراء إنما قصد به المجاملة و"تلميع" صاحب الصالون أو صاحب الموضوع أو الكتاب المطروح للمناقشة!! والرد على هذا المأخذ يسير جدا، مع الإقرار بأنه احتمال وارد، وهذا الاحتمال مؤسس على ضعف البناء الخلقي والمعرفي لمن بيده الكلام، وحين نعرض لصالونات البداية الحديثة (صالون الأميرة نازلي فاضل، وصالون مي، ثم صالون العقاد) سنلاحظ أن الشخصيات التي رعت هذه الصالونات اتسمت بقوة الشخصية ورفعة الخلق وسعة الثقافة على السواء، ولهذا لم يتح حضور صالوناتهم إلا لمن كان مناظرا أو قريبا من مستوى أصحابها. فليس خطأ الصالون – في ذاته – أن ينهض به من لا يرتقي بمستواه. على أن هذا الجانب من تهافت الأداء الفكري أو ضعف المستوى الفني ليس وقفا على الصالونات بحيث تنفرد بحمل وزره، ففي ثقافتنا العربية بحوث (بعضها أكاديمي بأقلام من يحملون لقب الأستاذية) ومقالات، وكتب، لا تضيف جديدا ولا تستحق إنفاق الوقت في الإطلاع عليها، ولا يعني هذا أننا ندافع عن صالونات متردية أو نجمل خواءها مادمنا لا نستطيع منع المؤلفات الضعيفة عن الانتشار، وإنما نعني – تحديدا – أن ضعف بعض الصالونات ليس بالمبرر

الكافي لمعارضة الظاهرة والاستهانة بقيمتها والحكم بانتهاء زمنها لعدم جدواها، وأن ضعف المنتج الثقافي سمة موجودة (إن لم تكن غالبة) في زماننا (العربي) الموسوم بالعزلة عن حركة العالم وإهمال مبدأ التقدم والانفتاح على الثقافات المتقدمة.

لابد إذا من إيجابيات حقيقية ملموسة نرى أنه ينبغي أن تكون موضع تقدير، وأنها تخاطب المستقبل وتدفع في اتجاه تقويم المجتمع وتقدمه. وأذكر من تجربتي الشخصية في هذا الاتجاه أن صحفا متعددة كتبت عن موضوع الصالونات وسعت إلى لقاء بعض أصحابها، وكذلك البرامج الثقافية بإذاعة القاهرة، أو قناة التلفزيون الثقافية كانت إذا وصلت إليَّ تبدأ بسؤال تقليدي يكشف عن أن السائل لا يملك عن فكرة الصالون ما يتجاوز ما سمعه عن صالون العقاد، وما يردد عن اسم " ميّ " دون أية تفاصيل، وهنا يكون السؤال التقليدي: " ما العلاقة بين صالونك وصالون العقاد؟ " وكما استقر السؤال التقليدي فقد استقر جوابي تقليديا كذلك!! وخلاصته أن الجمهور الثقافي المتردد على صالون العقاد إنما كان يقصده ليستمع إلى العقاد، فهو المتحدث الوحيد(١٢). الأمر الآن يختلف، ففضلا عن أنني لا أملك قامة العقاد أو سعة إطلاعه فإن زماني لا يتسع " لنموذج العقاد ": المتكلم الأوحد بين جمهور من المنبهرين، نحن في عصر ديموقراطية الثقافة، ومن حق الجميع أن يشارك وأن نحترم رأيه(١٣). ولكن عبدالله الغذامي (المفكر الأكاديمي السعودي) له رأي مختلف في قيمة الصالون من الأساس، ترتيبا على قيمة الثقافة في ذاتها، تقول دراسة نشرتها جريدة الرياض (٢ يونيو ٢٠٠٥): " ثمة عوامل كثيرة قادت إلى تكريس نظرة

خاطئة للثقافة تقول بأنها "ترف لا ضرورة". ومن هنا يمكن القول بأن الصالون الأدبي الذي ذهب بريقه أو كاد، ما هو إلا اسم جميل، وقناع يخفي خيبة المثقفين و" بؤس الثقافة " في عصر تحتل فيه " الصورة " المكانة الأولى رغم سطحيتها، الأمر الذي أدى – وفق تعبير الناقد السعودي المجتهد (!!) عبدالله الغذامي – إلى "سقوط النخبة وبروز الشعبي"، فالصورة التلفزيونية، كما يرى الغذامي، "تؤسس لمرحلة ثقافية بشرية تغيرت معها مقاييس الثقافة كلها إرسالا، واستقبالا، وفهما، وتأويلا، مثلما تغيرت قوانين التذوق والتصور"، والصالونات الأدبية بوصفها شكلا راقيا من أشكال التواصل الثقافي، لم تسلم من هذا التغير.

ولكن لماذا لم يعد عبدالله الغذامي تطور " الصالونات " إلى الشعبية بمثابة انتقال طبيعي إلى توسع في مفهوم الديموقراطية؟!

هل تصلح " ديموقراطية الثقافة " نقطة بدء في جلاء إيجابيات الصالون بما يجعلنا نحرص على استمراره ونعمل على التنوع فيه تنوعا في محاور اهتمامه، وانتشارا في مواقعه بين أحياء المدينة الحديثة (المترامية) وحتى في المدن الإقليمية المحدودة، والقرى أيضا؟!

إننا نطرح التصور ونترك مساحة الإجابة حرة، فهذا من الديمقراطية كذلك!!

وإذا كانت دراسة "جابر قميحة" التي نشرت بواسطة الشبكة العنكبوتية تحت عنوان: "أضواء على الصالونات الثقافية بين الماضي والحاضر" هي الأقرب إلى إجمال الفكرة والغاية والتعريف بأهم الصالونات،

فإن بعض المواقع السعودية هي الأسبق إلى ما نحن بصدده من طرح قضية الصالونات من حيث الجدوى والقيمة(١٤). وقد أبرزت بعض هذه المدونات وظائف للصالون قد تبدو غير مؤثرة ولكنها – في الحقيقة – تمثل إضافة مطلوبة، حيث تعوض ثقافة الصالون من فاتهم تلقي التعليم بالمدارس في طفولتهم وصباهم ولديهم توق إلى المعرفة، كما تشير إلى ترسيخ مبدأ الحوار، وما يؤدي إليه من الإسهام الإيجابي في تشكيل رأي عام ثقافي جاد. ومن أهم الإضافات هذا الاقتباس الذي ننقله عن " الاقتصادية "، ونصه: " إذا كانت العلاقة بين الصالونات الثقافية ووسائل الإعلام ترتكز في الدرجة الأولى على نفوذ صاحب الصالون ومكانته وقدرته على الاستقطاب، وأهمية الشخصيات الثقافية ودورها الذي تنهض به في الخطاب الإبداعي أو النقدي أو الفكري، فإنها في بعض الأحيان تنزوي بعيدا عن الأضواء حتى تستفيد من عامل الحرية التي توفره هذه العزلة الإعلامية لتستطيع أن تناقش المسائل المطروحة دون أن يؤدي ذلك إلى كشف عن خصوصية الموضوعات المطروحة وحساسيتها. وربما كان ذلك من أهم ما يحول دون استثمار معطيات هذه الحوارات على مستوى واسع ". وفي هذه العبارة إشارة دقيقة إلى التنوع الموضوعي الواسع فيما يمكن أن يثار في الصالون، فضلا عن حساسية ما يمكن أن يطرح من قضايا بين عدد محدود متآلف قريب من الموضوع المثار، مما يصعب طرحه في الندوات العامة على سبيل المثال. كما تشير هذه الدراسة إلى حافز اجتماعي يرسخ بعض القيم الإيجابية كالتشاور (وهو صورة من صور الحوار). ويشير " مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني " إلى ندوة عقدت

بمكة (مايو ٢٠٠٦) بعنوان: " لقاء الصالونات الثقافية ودورها في نشر ثقافة الحوار " وفي محاور هذه الندوة طرحت عناوين مهمة جديرة بأن نتفكر فيها ونتخذ منها موقفا، مثل: علاقة الصالونات بالإعلام، بأنواعه ووسائطه، والصالونات بين النخبوية والانفتاح. كما عقدت ندوة بفنون جازان موضوعها: الصالونات الأدبية: ضرورة ملحة أم ترف اجتماعي؟ وهذا التساؤل يعيدنا إلى بداية هذه الفقرة، ولكنه يضيف إضاءة مهمة ترى أن انتشار الصالونات الثقافية هو البديل لتراجع المؤسسات الثقافية في الاهتمام بالثقافة!! والإشارة هنا تعني – من وجه آخر – أن النشاط الأهلي الحر هو البديل الناضج لتراجع دور المؤسسات الحكومية، ولعلنا نلاحظ هذا في مراقبة دور المؤسسات الحكومية وأدائها الثقافي، في مصر على سبيل المثال، مقارنا ومتزامنا مع ندوة مثل ندوة العقاد!!

على أننا في طرح وجهات النظر ينبغي أن نستعين بأسس علم الاجتماع، فهو المعول عليه في ترشيد التقدم، وفي حماية التماسك الاجتماعي.

وفي الدراسات (الاجتماعية) الحديثة توجيهات مهمة تهدف إلى تقوية البناء المجتمعي، إذ تحرص على عناصر الطبيعة بالمعنى البشري والمعنى الجغرافي فإنها توازيه وتواشجه بالبناء الثقافي، وإذا كان أساس الوجود هو أنه " لا وجود إلا من خلال ما ندركه " فمن هنا أهمية أن نعرف بكل وسائل المعرفة المتاحة، حسب طبائع المجتمعات والأفراد والمستويات والخبرات المطلوبة والإمكانات، ليس اعتمادا على ما هو كائن وحسب، بل سعيا إلى ما ينبغي أن يكون.

وتتأكد أهمية التواصل المباشر عبر أسس "نظرية الاتصال" التي اهتمت باللغة بوصفها وسيلة الاتصال الجماهيري الذي يعبر من خلال كيان الجماعة عن نفسه. "ويقاس نجاح الاتصال باستجابة السامع للمتحدث في مجال الحراك الاجتماعي، لموقف الكلام، فالتأثير في السامع هو الوحدة الأساسية في المعنى إذا ما توافرت مطالب الفعالية validity claims التي طرحها هيبرماس، واستبدلها (!!: استبدل بها) سيرل استيفاء شروط نجاح أفعال الكلام في إصابة مراميها..."(١٥).

ومن آخر ما أتيح لنا قراءته في هذا الاتجاه، مقال موجز عرض لكتاب ألفه جمال سند السويدي الأستاذ بجامعة الإمارات، عنوانه: " من القبيلة إلى الفيس بوك: وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية " أراد المؤلف أن يكون كتابه صيحة تنبيه كاشفة لما يراه من سلبيات وايجابيات تطرحها علينا تكنولوجيا الاتصال مع بزوغ كل شمس. إن الباحث المؤلف يدرك خطر هذه الوسائل شديدة التسارع والإبهار ومن ثم التأثير، في مقابل وسائلنا المقروءة والمرئية، وما يمكن أن تؤدي إليه هذه المواجهة غير المتكافئة من تفكيك أو تحلل البنى الاجتماعية التقليدية، بخاصة حين تستهدف أنماط القيم السائدة في بعض المجتمعات المغلقة والمعزولة. من هنا يتحرك الخوف على الهوية والخصوصية – التي لن تصمد لهذا التدفق الكاسح، المتيسر للجميع عبر الفيس بوك والتويتر واليوتيوب، وإذ يتوقع الباحث حدوث زلزال سيخلط الأوراق لصالح العولمة الثقافية، وينذر بتغييرات سلبية على مجتمعاتنا، فإننا ينبغي أن نفكر في إيجابيات لا تقف عند " محاولة تعويق " هذه الهجمة بوسائل اتصالية، وإنما بتقوية أنماط

المعرفة، وتجديد المعلومات عبر المشاهدة (المعاينة) التي تتجاوز تأثير الصورة، وإن تكن أقل إبهارا منها، وهنا يمكن أن يكون انتشار الصالونات الثقافية أحد البدائل المفيدة، بأكثر من معنى، في هذا الاتجاه[١٦].

٣- الصالون: صناعة نسائية غربية

ارتبطت كلمة "الصالون" في تجربتي الريفية بمكان حلاقة الشعر، واستقر هذا في وعيي الخاص إلى أن تحدث إلينا مُحَمَّد غنيمي هلال (في كلية دار العلوم) في درس الأدب المقارن عن مدام "دي ستايل" (١٧٦٦ – ١٨١٧) وعرفنا منه أنه كان لها صالون في بيتها في باريس، وكان هذا الصالون يجمع أساطين الفن والشعر والفكر، كما كان يدعم مبادئ الحرية، وحقوق الفرد على الجماعة، وحق المبدع والمفكر أن يكتب ما يشعر به مهما كان، فقد كانت متأثرة بفلاسفة الألمان ونقادهم. وقد انتهى دفاعها عن الحريات إلى إزعاج نابليون لدرجة أنه نفاها عن باريس، وأغلق صالونها على الرغم من أنها فرنسية لها حق كامل في وطنها، كما كانت زوجة سفير السويد في باريس، ولها حصانة دبلوماسية، مع هذا كان القضاء على صالونها مطلبا ملحا عند الإمبراطور.

من تلك الإشارة المبكرة عرفت قيمة أن تكون المرأة المثقفة راعية صالون، كما عرفت أهمية أن يكون في حياة الناس صالون وصالونات كثرٌ تعبر عن الوعي العام.

إن صالون مدام دي ستايل هو الذي وضع مصطلح "الرومانتيكية"

وهي التي حددت ملامحها وأصولها، قبل أن يكتب عنها فيكتور هوجو مقدمته الشهيرة. وقد يهتم الدكتور هلال (رحمه الله)[١٧] أن يذكر في الهامش أن والدة "آن لويس جيرمان" (وهو اسم مدام دي ستايل قبل زواجها) كان لها صالون في باريس، فهذا ميراث الثقافة في بيت اتخذ من الفلسفة ومن حرية الفكر شعارا حتى النهاية. فلا غرابة إذا فيما تكاد تجمع عليه المصادر – قديمها وحديثها – على أن " الصالون " صناعة نسائية، لا تختلف في هذا "الصالونات" القديمة جدا عن الصالونات الحديثة أو المعاصرة، وسواء كان هذا في المجتمعات الغربية أو المجتمعات العربية. وقد يحلو لبعض الكاتبين هناك أو هنا – أن يسلب المرأة هذه الميزة / الفضيلة التي لا نقص فيها، فيرى أن شغف المرأة بالصالون إنما كان ردّ فعل لشعور العزلة ونقص مصادر الثقافة الذي فرضه عليها المجتمع الذكوري، (دون أن"يتبرع" بجملة واحدة تلوم هذا الانحياز الذكوري ضد ثقافة المرأة) على أن قراءة الظاهرة من كافة جوانبها تكشف عن أن الطبيعة الأنثوية هي بالفطرة المؤهلة لقيادة الصالون وحفظ نظامه والحرص على أن يبقى وعاءً أثيرا لحوار الكياسة واللباقة، وحفظ كرامات الآخرين، والحرص على أناقة اللفظ وأناقة الهندام بشكل مبسط لا يخرج بهذا الاجتماع عن طبيعته. كما أن الذوق النسوي مصحوبا بلماحية الذكاء الاجتماعي الذي تختص به المرأة في تلك المستويات الاجتماعية القادرة على رعاية الصالون هو الضمان لبقائه وقدرته – وهي قدرة صاحبته – على الاحتفاظ بروّاده، والاحتفاظ بأعضاء الصالون – حتى مع اختلاف نزعاتهم وثقافتهم وتوجهاتهم السياسية – العلامة الفارقة الدالة على أداء

الصالون لوظيفته الأساسية، وهي القدرة على تشكيل رواده، بالتقريب بين استجاباتهم لما يطرح فيه من قضايا وتصورات، حتى مع اختلاف التوجهات والعقائد (الأيديولوجية، والفنية، والدينية أيضا).

لقد كانت قواعد اللياقة و (الإتيكيت) من أهم المبادئ التي لا يجوز للمتردد على الصالون تجاوزها أو التقليل من شأنها. لقد أجمع المؤرخون للصالون في الغرب على أهمية هذا الجانب (التهذيب ورعاية ما اتفق عليه من قواعد السلوك) حتى جعلوا هذا الأمر تاليا مباشرة لضرورة الالتزام بالموضوع المثار في حوار الصالون، فمن المهم أن يكون الحوار راقيا مهذبا. ومما لا يمارى فيه أن طبيعة المرأة أقدر على " فرض " هذا الجو، وإلزام الحاضرين به، سواء كانوا رجالاً أو نساءً، بما يؤدي – كما نرى – أن الصالون في جوهره امرأة مثقفة ذات مقام وذوق وكياسة ولباقة. وبدايات الظاهرة – غربا وعربا – توصل إلى ذلك.

لقد اتسمت الصالونات الأدبية الباريسية بغياب التمايز الطبقي، وشهدت اختلاط أبناء الطبقات الاجتماعية المختلفة، وكذلك اختلاط الجنسين، فساعدت على هدم الحواجز الاجتماعية، وهو ما جعل من ظهور أفكار عصر التنوير أمرا ممكنا. وتحولت الصالونات الأدبية التي كان يديرها نساء مثل مدام جيفرين ومدموازيل دي ليبيناس ومدام نيكر إلى مؤسسات للتنوير، فاجتذبت المجتمع الباريسي إلى جانب الفلاسفة التقدميين الذين قاموا على إصدار دائرة المعارف الفرنسية في ذلك الوقت، وحركة أصحاب الجوارب الزرقاء وغيرهم من المثقفين الذين انخرطوا في حركة التنوير[١٨].

وفي الصالونات الأدبية تجلى دور النساء فكن نقطة الجذب فيها، وكان بإمكانهن أن يخترن ضيوفهن ويقررن ما يدور حوله النقاش من موضوعات اجتماعية أو أدبية أو سياسية، ويدرن الحوار بأنفسهن.

في الاهتمام بالصالونات العربية التاريخية تأخر كثيرا أن يتأمل المؤرخون لها لتجريد فكرتها، وتحديد أو تقريب السلوكيات واجبة الرعاية فيها، على أنه يمكن استخلاص بعض ذلك إذا ما عدنا إلى الأخبار المروية وقرأناها ثانية من هذه الزاوية، وهي تختلف – بالطبع –، عما كانت تبيحه سيدة الصالون الفرنسية لنفسها، كأن تتمدد في فراشها في حين تتحلق كراسي الحضور حول السرير. سنضع اختلاف الزمن وجذور التقاليد، والرأي السائد في الاعتبار، لأن المصادر التي أشارت إلى مجلس سكينة بنت الحسين حرصت على أن تذكر أنها كانت تجلس خلف ستارة، بحيث ترى أعضاء صالونها، ولا يراها أحد!! ولكنها كانت تحاور الشعراء وتعلق على صورهم وأوصافهم الغزلية، وتجيز بعضهم وتلوم بعضا آخر[١٩].

وقد سبقت الإشارة إلى أن ظاهرة الصالونات – إذا صحت التسمية – متماسكة في تسلسل عبر القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر في عدد من دول أوربا، في حين أنها – عندنا – تسبق في الظهور (عمره، وسكينة، وعائشة بنت طلخة) ولكنها تنقطع أو لا تصنع سليلة، كما يهملها دارسو تاريخ الأدب والتاريخ الاجتماعي على السواء على افتراض أن "الصالون" ملازم لبعض الطبائع من النساء والرجال، ومناسب لبعض المراحل التاريخية على نحو ما سبقت الإشارة[٢٠].

كانت كاثرين دي ڤيڤون (١٥٨٨ – ١٦٦٥) راعية الصالون الأول في باريس، (حتى مع تحفظنا على الوصف بالأولية)، وقد تعقبت موسوعة ويكيبيديا النساء اللاتي حرص مؤرخو الصالونات الأدبية على ذكرهن، بما يبرز أهمية الدور الذي لعبته النساء في إنشاء الظاهرة ورعايتها عبر المدن، وعبر الأزمنة، وبخاصة حين يعرض لمؤلفات القرنين التاسع عشر والعشرين، على الرغم من وجود صالونات مؤثرة حتى في القرن العشرين[٢١]. ويشار إلى كتاب ألفته كارولاين لوجي (١٩٧٦) استجابة لبزوغ الحركة النسوية في أوروبا، وقد أفردت كتابها للدور الذي لعبته سيدات الصالون في المجتمع الفرنسي، كما أكدت بعض الكتابات التي عنيت بدراسة عصر التنوير الأوروبي على دور المرأة الواضح، وقد ربطت هذه الكتابات بين دور المرأة والصالونات. وكذلك يذكر كتاب "دينا جودمان" (١٩٩٤) وعنوانه: "جمهورية الأدب" وقد وصفت المشاركة النسائية في عصر التنوير وصفا يسند إلى المرأة التأثير الأعظم، فسيدات الصالون –كما تقول – لم يكن يسعين إلى تسلق السلم الاجتماعي، بل كن يتمتعن بالذكاء، وقد علمن أنفسهن، وعلمن غيرهن، كما أنهن آمنّ بقيم عصر التنوير ووضعنها موضع التنفيذ، كما استخدمنها لإعادة تشكيل الصالونات الأدبية بما يلائم احتياجاتهن الفكرية والاجتماعية والتعليمية.

لقد وصف بعض المهتمين بموضوع الصالونات موقف دينا جودمان بأنه منحاز بوضوح لدور المرأة الثقافي أو التثقيفي، ولكن هذا البعض لم يستطع أن ينكر على هذه السيدة، بوجه عام، دورها المؤثر في عصر التنوير.

وينبغي أن نلاحظ أن هذه الإشارة التي تربط بين الصالونات النسوية وبين حركة التنوير لم تترك دون أدلة قوية، وقد ذكرت أسماء سيدات من القائمات بأمر صالونات محددة، كان لهن تأثير بازغ في فنون المرحلة وتشجيع حركات التجديد، فمنذ القرن الثامن عشر – وقد تكاثرت فيه (في باريس) الصالونات النسوية كثرة لافتة، مثل صالون صوفي كوندروسي زوجة الفيلسوف وعالم الرياضيات كوندروسي، وصالون مدام رولان التي استضاف صالونها اجتماعات جماعة الجرونديست أوائل الثورة الفرنسية(٢٢). ومع حركة الزمن واختلاف حاجات العصر، في القرن التاسع عشر اقتصرت بعض الصالونات على استضافة الفنانين مثل صالون مدام ريكامبير، وبعد صدمة الحرب الفرنسية البروسية (١٨٧٠) آثر بعض أفراد من الطبقة الارستقراطية الفرنسية الانسحاب من الحياة العامة بإيقاف نشاط صالوناتهم، وآثر بعض آخر الاستمرار مثل الأميرة ماتيلد التي ظلت تعقد صالونها الأدبي في ضيعتها. ويسجل التاريخ الأدبي لبعض عظماء الأدب والفنون التشكيلية والموسيقى أن مواهبهم وجدت ظهيرا مساندا في الصالونات النسوية، فالروائي الشهير مارسيل بروست(٢٣) استمد أهم شخصيات رواياته ممن شاهد في صالونات عصره وكان كثير التردد عليها، مثل صالون مدام أرمان دو كايڤي، وصالون مدام شتراوس، والكونتيسة دو شيڤان وغيرهن. وكما كان من نجوم هذه الصالونات: أناتول فرانس (٢٤)، وبول برجيه(٢٥)، ولهما شهرة عظيمة في زمنهما.

وتقول الموسوعة: " وكانت بعض الصالونات الأدبية أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين مراكز للموسيقى المعاصرة (الحديثة في زمانها)

وفي هذه الصالونات ظهرت اشهر الأعمال التي تنتمي لموسيقى الحجرة(٢٦)" وتضيف الموسوعة: "وحتى خمسينيات القرن العشرين – أثناء الجمهورية الفرنسية الرابعة – ظلت الصالونات التي تعقدها سيدات المجتمع قائمة، وكان يتردد عليها ساسة ومثقفون، مثل صالون مدام ابراس، ومدام دوجاريك دولا ريڤيير، وكان آخر الصالونات الأدبية التي شهدتها باريس صالون ماري لور دو نواييه، وكان من الأدباء (الكبار العالميين) المترددين على الصالون: جان كوكتو(٢٧) وإيجور ماركفيش، والفنان التشكيلي العالمي سلفادور دالي(٢٨)، الذي أثرت مدرسته (أسلوبه) في العالم كله.

تعقد موسوعة ويكيبيديا (فيما حررته باللغة الإنجليزية) فقرتها الأخيرة (وقد جمعت بين الاختصار والتفصيل) عن الصالونات الأدبية في أوروبا، وبعض بلدان أمريكا اللاتينية، وتبدأ بتقرير سَبْق فرنسا وفضلها في ابتكار الصالون، وإرساء تقاليده وآداب حضوره وإطار عمله. وفرنسا – في هذا – تسبق انجلترا، وتظل الصالونات الفرنسية ذات فعالية عالية (ربما لما عرفت به العقلية الفرنسية من اهتمام بالنظريات، ولأن فرنسا كانت تعيش حالة من الثورات والتغيرات الحادة) ومع هذا تذكر لبعض الصالونات في البلاد الأخرى بعض المآثر الباقية:

- ففي بيونس آيرس (عاصمة الأرجنتين) أثناء ثورتها في القرن التاسع عشر كانت أشهر شخصية نسائية سيدة صالون هي: ماريكوتيا سانشيز. وقد ساندت هذه السيدة الثورة، وفتحت صالونها لأشهر الشخصيات من الثوار، ولا يزال هذا الصالون مذكورا بالإجلال إذ أنشد فيه لأول مرة السلام الوطني الأرجنتيني في ١٤ مايو ١٨١٣.

- وفي انجلترا في القرن التاسع عشر أيضا اشتهر صالون اليزابيث مونتاج، الذي خرج منه مصطلح: "الجوارب الزرقاء"[٢٩]، كما نلاحظ أن بعضا من السيدات غير الانجليزيات كان يسمح لهن بإقامة صالوناتهن في لندن (مثل البارونة الروسية ماري فون برونينك) واستضافة اللاجئين من أنحاء أوروبا لعرض مشكلاتهم.

- ويلاحظ أن الصالونات في ايطاليا لم تكن تستوطن العاصمة (روما) دون غيرها من المدن، فهناك صالونات مثل: صالون كلارا ماڤي في ميلانو، وصالون إميليا بروتسي في فلورنسا، وصالون أوليمبيا روسي ساڤيو في تورينو. كما كان يتردد على هذه الصالونات عظماء العصر في فنون الإبداع المختلفة: مثل الرسام الرومانسي فرانشيسكو هايز، والموسيقار فردي (الذي نعرفه بأنه مؤلف موسيقى أول أوبرا مصرية، أوبرا عايدة التي لا تزال تسحر الألباب إلى اليوم، وقد عزفت لأول مرة في افتتاح أوبرا القاهرة زمن الخديوي إسماعيل ١٨٦٩) وغيرهم. وتختم الموسوعة هذه الفقرة عن الصالونات في ايطاليا بعبارة دالة، تستحق أن نستعيدها ونحن نعيد التفكير في شأن صالوناتنا العربية التي لم تحظ بالانتشار إلا قريبا جدا. تقول عبارة الموسوعة:

"وأتاحت الصالونات فرصة الاختلاط بين الفنانين والأدباء الشباب وكبار الشخصيات الفنية والأدبية. كما كانت هذه المجالس الخاصة وسيلة للهروب من الرقابة الحكومية على الحياة الثقافية والفكرية. وكان العصر الذهبي للصالونات الأدبية في ايطاليا تلك الفترة السابقة على توحيد

إيطاليا حيث أعقب الوحدة ظهور الصحف التي أزاحت الصالونات عن عرشها".

- ولعله ليس من قبيل المصادفات أن تكون أشهر الصالونات الأدبية في ألمانيا عقدتها يهوديات، مثل هنريتيا هرز، وراحيل ڤارنهاجن.
- وتمضي سلاسل سيدات الصالونات يحملن شجاعة البدء، وإرادة الجدية، وفرض الاحترام وتبني تطلعات المستقبل:

في أسبانيا – في نهاية القرن الثامن عشر –كان اشهر صالون أدبي ترعاه ماريا ديل بيلار دوقة إلبا.

وفي اليونان – في القرن السابع عشر –كان صالون الكساندرا مافرو كورداتو. وفي بولندا – أواخر القرن السابع عشر – أقامت دوقة سينياوسكا صالونها وتلقفتها منها سيدات أخر في القرن الثامن عشر.

وفي السويد ظهر الصالون الأدبي في رعاية صوفيا إليزابيث نهاية القرن السابع عشر، وقد استضاف صالون آنا ماريا لينجرن أعضاء الأكاديمية الملكية السويدية (التي تمنح أكبر جائزة في العالم: جائزة نوبل) وهذا يدل على مكانة صاحبة الصالون، وما استطاعت أن تصل به إلى هذه المكانة..

ومن هذا العرض الشامل يمكن أن نتبين:

أن انتشار الصالونات الثقافية في مدن أوروبا عمل على التقريب بين الطبقات، وساعد على توحيد النوعين (النساء والرجال) في المجتمع، وكانت هذه الصالونات من أهم عوامل تبني قضايا المستقبل (حركة

التنوير) وأنها فتحت فرصا جليلة لكبار المبدعين أن ينشروا إبداعاتهم..

والكلمة الأخيرة في هذا التصور الموجز: أن المرأة كانت البداية، كما كانت الاستمرار.

٤- صالونات المرأة العربية

تشغل أسماء السيدات العربيات اللاتي أخذن مكانا في سياق تجربة " الصالون الثقافي " مكان الريادة والسبق، ومكان الدأب والاستمرار كذلك، ولكن حظهن من عناية مؤرخي الأدب العربي الحديث محدود جدا، باستثناء اسم " مي زيادة " (ماري إلياس زيادة: ١٨٨٦ – ١٩٤١) التي يذكر اسمها وكأنها حالة فريدة، وهي ليست كذلك، واسمها مسبوق برائدة (أخرى) هي الأميرة نازلي فاضل التي تعد " القاطرة " التي مهدت الطريق لميّ زيادة، ولمن جاء بعدها، ولعل انفراد " ميّ " بشهرة التأسيس لدى المؤلفين يعود إلى عدة عوامل تغري باحتضان تجربتها، في صدارتها أنها كانت نموذجا لتواشج عناصر العروبة، فقد ولدت في فلسطين، ونشأت في لبنان، فعاشت بين أب لبناني وأم سورية، وتفتح وجدانها الأدبي في مصر، واستطاعت أن تحقق شهرتها وقيمتها في مجتمع محافظ، أو متزمت، (والقيمة هنا تعني الترفع والحرص على كرامتها وكرامة الآخرين أيضا) وقد كانت مسيحية في بلد الأزهر، مع هذا كان صالونها يتسع للجميع، ولمختلف الاتجاهات الثقافية، وكذلك كان لمي زيادة نشاط إبداعي: تكتب القصيدة والخاطرة الأدبية ، والمقالات في النقد الاجتماعي[٣٠]، ولها ديوان بالفرنسية، كما كانت تجيد أربع لغات أوروبية حديثة، كما أنها ألفت كتابا

عن معاصرتها التي رحلت في ريعان شبابها: ملك حفني ناصف التي عرفت بلقب باحثة البادية (١٨٨٦ – ١٩١٨) وكانت سابقة إلى الدعوة لتحرير المرأة ومساواتها بالرجل. وفي مجال تقييم تجربة ميّ لا يمكن إغفال المفارقة الحادة الفاجعة بين حياتها المترفة في القاهرة والزج بها بمستشفى الأمراض العصبية في بيروت، بعد أن فقدت والدها، وحبها الوحيد[٣١](الشاعر الفنان التشكيلي جبران خليل جبران المتوفى سنة (١٩٣١) وفي تلك السنة توقف صالون ميّ وكان حبهما عبر تبادل الرسائل والقصائد[٣٢].

لكل هذه الأسباب: الموضوعية والشخصية انفردت " مي زيادة " بريادة الصالونات العربية في العصر الحديث، في حين فازت الأميرة نازلي فاضل بحق السبق الزمني[٣٣]، وإرساء " الصالون " على قواعده الفكرية التنويرية، ولا ينتقص من تفاعلها مع الحياة الاجتماعية في مصر أنها ولدت أميرة (حفيدة إبراهيم باشا ابن مُحَّد علي باشا) أو أنها نشأت وتعلمت في أوروبا، ثم حين " عادت " إلى وطنها مصر أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر (أي بعد عام ١٨٨٠) أسست صالونها في القاهرة، وليس له سابق تسير على هداه، بما يربط نزعتها هذه بصالونات المجتمعات الراقية في عواصم الغرب المتعددة التي عاشت فيها وبخاصة باريس، فاتخذتها نموذجا. ويقول طارق حجي فيما كتبه عنها: "في هذا الصالون انتقلت روح عصر النهضة والتنوير والحداثة من صاحبة الصالون الأميرة الشابة لجمهور صالونها، وأهمهم مُحَّد عبده، وسعد زغلول، وقاسم أمين، والأديب السوري عبد الرحمن الكواكبي.. وفي اعتقادي أن الأميرة نازلي فاضل وصالونها من أهم أركان حركة وتيار التنوير في مصر الحديثة "[٣٤]. وفيما كتبه جابر

قميحة ما يدل على أصالة نزعة التحرر في تكوينها، فقد كان والدها مصطفى فاضل باشا يلقب بابي الأحرار، وكانت نازلي تجيد أربع لغات (الفرنسية، والإنجليزية، والتركية، والعربية) وكذلك تلقت ثقافتها في معاهد عالمية راقية، وسافرت مع زوجها الذي كان وزيرا وسفيرا للدولة العثمانية إلى أهم عواصم العالم في زمانها، مما جعلها على معرفة بعظماء العالم ودراية بأفكارهم.

وإذ يضيف قميحة (نقلا عن مصادره) إلى رواد صالون نازلي اسمي: ولي الدين يكن، وسليم سركيس، كما يشير إلى تردد بعض الأجانب على هذا الصالون، كما يقرر أمرين: أن صاحبة الصالون ربيبة الثقافات الغربية كانت حريصة على هويتها الإسلامية، وقد نقل عنها عبارة دالة: " إننا – نحن المسلمين – لا نجاح لنا إلاّ بالتمسك بالإسلام "، والأمر الثاني أن صالونها لم يكن يهتم بالأدب اهتمامه بالموضوعات السياسية والدينية والاجتماعية والعلمية.(٣٥)

ولحياة نازلي فاضل امتداد آخر يستحق أن نعرّف به، وبخاصة أنها، في القاهرة، كما في تونس من بعد قد جمعت في صالونيها شخصيات أثرت بقوة في بناء النقلة الحضارية العربية الحديثة، حتى يقال أن أفكار قاسم أمين حول تحرير المرأة، وكتابه في هذا الموضوع قد تبلورت في حوارات صالون نازلي فاضل قبل أن توضع في كتاب وتصبح قضية مجتمعية. لم تكتف نازلي فاضل بأن تكون صاحبة السبق إلى " الصالون " في القاهرة، إذ كررت إضافتها الحضارية إلى تونس أيضا، فقد حملتها وظيفة زوجها السفير العثماني إلى العاصمة التونسية، فما لبثت أن أسست صالونها،

فجمع رجال الفكر والسياسة هناك، وحتى بعد أن توفى زوجها (التركي) تزوجت (عام ١٨٩٩) شابا تونسيا (خليل أبو حازم) ينتسب إلى أسرة عريقة، ومن ثم استأنفت نشاط صالونها الأدبي الذي كان يحضره: البشير صفر، وسالم بو حاجب، وعلى بو شوشة، وصالح البكوش، والفاضل بن عاشور، وعبد الجليل الزاوش، وغيرهم من أهل الفكر، وقد كان لهؤلاء من أثر في ثقافة تونس ما كان لسابقيهم في ثقافة مصر ما بين التأصيل والدعوة إلى التجديد.

أما صالون مي، والأخبار المأثورة عنه أقرب إلى التحدد والتفصيل – فيذكر أنه كان ينعقد في بيتها كل ثلاثاء، وأن رواده كانوا أقرب إلى الاهتمام بالأدب والحضارة (الثقافة بوجه عام) ويتضح هذا حين نعرف أهم أركانه، وهم: مصطفى عبد الرازق، وعباس محمود العقاد، ولطفي السيد، وعبد العزيز فهمي، وأحمد شوقي، وولي الدين يكن، وإسماعيل صبري، وخليل مطران، ومصطفى صادق الرافعي، وأنطوان الجميل، وطه حسين..

لقد استمر صالون مي عشرين عاما (١٩١١ – ١٩٣١) ويمكن أن نلاحظ أن هذه الفترة عبرت فيها مصر: سياسيا وثقافيا وحضاريا – أهم مراحل تكوينها التي نستطيع أن نزعم أن مصر المعاصرة لا تزال تعيش على أضواء وأصوات تلك المرحلة التي شهدت إنشاء جامعة القاهرة، والقيام بثورة ١٩١٩ الشعبية التي مهدت لانتقال تكوين مصر إلى مملكة مستقلة يحكمها دستور (١٩٢٣) ومؤسسات ذات تقاليد. وحين نستعيد أسماء الأعلام الذين كانوا يترددون على صالون مي (وكان بعضهم من رواد صالون نازلي فاضل قبل أن تطوي صفحتها المصرية وتستقر في تونس) كما

سنلاحظ – وهو الأهم – أن هذا الرهط كانوا، واستمروا قادة وروادا للفكر وللفن وللتحديث في مصر:

- الشيخ مصطفى عبد الرازق: متخرج في الأزهر ثم في فرنسا، ودرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب، وختم حياته العملية وزيرا للأوقاف، ثم شيخا للأزهر..
- عباس محمود العقاد: مؤلف العبقريات، الشاعر المثقف الموسوعي، المؤرخ الأدبي، صاحب الأسلوب المميز، والفكر العميق، وقد أعاد الفكر الأدبي (النقدي) إلى الفلسفة وعلم النفس.
- أحمد شوقي: رائد الشعر الحديث، وصاحب الموهبة التي لا تلحق، ومؤسس فن المسرحية الشعرية في الأدب العربي، ومؤسس فن الحكايات المنظومة للأطفال، حتى كتاباته النثرية لم يتطاول كاتب إلى منافستها.
- خليل مطران: الشاعر الرومانسي المجدد، وهو أحد أعمدة الحداثة في شعرنا العربي، وقد شهد له طه حسين أن فنه الشعري يتفوق على معاصريه: حافظ وشوقي.
- طه حسين: أشهر ناقد انطباعي عربي في العصر الحديث، مؤلف "الأيام" و "حديث الأربعاء"، و " تجديد ذكرى أبي العلاء "، و"مع المتنبي". لقد أنشأ طه حسين في الثقافة العربية مدرسة ذوقية إنسانية تستلهم الثقافات العالمية قديمها وحديثها،ولا يزال تلاميذه ومريدوه يمسكون بزمام التجديد الفكري والأدبي إلى اليوم

هذا الرعيل الذي عرفه صالون نازلي فاضل، والذي عرفه صالون مي

زيادة من بعده جسّد أمامنا صورة الصالون الثقافي في تكوينه الكامل أو الراقي، من حيث مستوى الرواد، وطبيعة الموضوعات التي تطرح للمناقشة، ومستوى المناقشة. ولم يكن هذا ليتحقق بأركانه لولا ما توافر للسيدتين نازلي ومي من شخصية جادة، وقورة في غير استعلاء أو جمود، واسعة الأفق، ملمة بالثقافات العصرية بالقراءة والخبرة والمشاهدة. فكان هذا ضمان الاحترام والاستمرار من عامة الناس وخاصتهم، كما كان محبذا لحرص رواده على حضوره بانتظام، حتى قال الشاعر إسماعيل صبري في إحدى قصائده معلنا تشوقه إلى يوم الثلاثاء، يوم صالون ميّ:

روحِي على بعض دور الحيّ هائمة كظامئ الطير تواق إلى الماءِ

إن لم أمتع بميٍّ ناظريّ غدا أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

ومع ما أشرنا إليه من فروق بين شخصيتي نازلي وميّ فإن أوجه الاتفاق بين الصالونين أقوى من الاختلاف بين الشخصيتين، وهذا يرجع إلى المستوى الاجتماعي والثقافي الراقي الذي تميز به روادهما. وإلى هنا يمكن أن نلاحظ أن التطور الاجتماعي الذي شهدته مصر زمن الصالونين (وصالون مي بصفة خاصة) لم ينعكس على الرواد، فليس بينهم امرأة، (ربما غير امرأة واحدة هي هدى سلطان ابنة سلطان باشا التي ستعرف فيما بعد بهدى شعراوي زعيمة الاتحاد النسائي العربي) وكان لها صالونها كذلك، وقد دعت للمحاضرة فيه الشعراء والمفكرين، وكان من رواد صالون هدى شعراوي الأديبة وداد سكاكيني، وأستاذ الجيل أحمد لطفي السيد، وأحمد حسنين باشا، والدكتور مُحَّمد حسين هيكل باشا.ولم يكن بين الحضور من يمكن عده من"عامة المثقفين"!!

وهنا يمكن أن نلاحظ الرابطة بين المقدمات والنتائج، فهذه السيدة الموقرة التي بدأت بالتردد على صالون ثقافي، ما لبثت أن أسست صالونها الذي قادها إلى التواصل مع سيدات وطنها المثقفات، فكان الاتحاد النسائي العربي ثمرة جهادها. ولا شك أن أطوار حياتها تستدعي إلى الذاكرة موقف مدام دي ستايل في فرنسا.

وفي زماننا هذا قرأت عن صالون خديجة السقاف في القاهرة، وصالون شريفة فتحي في القاهرة أيضا، وعن صالون فاطمة الزهراء في إحدى ضواحي مدينة المنصورة، وترددت عدة مرات على صالون حياة أبو النصر في قاعة عامة بمدينة نصر منتصف ثمانينيات القرن الماضي، كما حضرت عدة مرات صالون سامية عبد السلام بمنزلها بشارع الهرم بالجيزة في نفس الفترة، وهؤلاء السيدات كلهن شاعرات، أما صالون جميلة العلايلي – وهي إحدى أركان جماعة أبوللو – فإنه يسبق زماني وما بقي منه لا يتجاوز شعرها.

حين نحاول رصد حركة الصالونات النسوية في الوطن العربي إنشاءً وتنوعا، سنجد بعض محاولات مبكرة في سورية بصفة خاصة ثم في المملكة العربية السعودية، كما سنجد بعض هذه الصالونات وقد خصصت لرواد من النساء دون الرجال.

في سورية يذكر اسم الأديبة " مريانا مراش " – التي تقول عنها مجلة " الرياض " فيما نشرته على الشبكة العنكبوتية: " إنها كانت السباقة إلى إحياء تقليد المجالس الأدبية في ظروف سياسية واجتماعية بالغة الحساسية والتعقيد رافقت نهايات المرحلة العثمانية في أوائل القرن المنصرم "، كما

يذكر اسم " ماري عجمي " صاحبة مجلة " العروس "، فبعد انحلال عقد الرابطة الأدبية التي تأسست في دمشق عام ١٩٢٢ بجهود ماري عجمي استأنف أعضاء الرابطة لقاءاتهم في منزل ماري في حي باب توما بدمشق القديمة، وقد استضاف هذا الصالون عددا من كبار الشعراء العرب من السوريين وغيرهم. وكذلك يذكر اسم " زهراء العابد " زوجة محمد علي العابد، وهو أول رئيس للجمهورية السورية نهاية ثلاثينيات القرن العشرين، وكان صالونها يعقد في منزلها، كما يذكر اسم " ثريا الحافظ " وكان لصالونها عناية خاصة بالشاعرات العربيات مثل نازك الملائكة، وفدوى طوقان. كما يذكر اسم المحامية الكاتبة " حنان نجمة "، ويقام صالونها إلى ألان (تاريخ المقال ٢ يونيو ٢٠٠٥) في شارع العابد قرب مبنى البرلمان بدمشق، وقد توسع هذا الصالون في إقامة احتفاليات استضاف بها شعراء وشواعر ورائدات في الحركة النسوية العربية من أقطار عربية مختلفة. كما يذكر صالون " كوليت خوري " وصالون الشاعرة ابتسام الصمادي " — النائبة في البرلمان السوري، وصالون " جورجيب عطية "، وينفرد صالون ابتسام الصمادي بأنه ينعقد في مدينة القامشلي (٢٠٠٨) وليس في دمشق، كما ينفرد صالون " فوزية المرعي " بأنه يقام في مدينة الرقة بدءا من عام (٢٠٠٥). إن هذه الأسماء التي نحرص على تسجيلها على الرغم من غياب التعريف بهن، والتفصيل في نشاطهن، وتحديد الزمن، إنما نفعل هذا رغبة في لفت الانتباه إلى ظاهرة الصالونات النسوية العربية، الحديثة والمعاصرة، لعل هذا أن يؤدي إلى اهتمام الباحثين في تاريخ الأدب الحديث والمعاصر، والمشغوفين برصد ملامح التطور الاجتماعي، فهذا الرصد

المبدئي – مهما كان قاصرا _ فإنه يفتح الطريق إلى استكمال الصورة وحفز المترددين، وتنبيه الغافلين. إن الصالون الثقافي، في موقعه، يؤدي وظائف حضارية مهمة؛ فهو يؤصل حقوق الإنسان، كما يسهم في التنمية الاجتماعية الثقافية، ويرقى بالسلوك العام، كما يدعم أسلوب الحوار والمشاركة بالرأي بين الجماعات الصغيرة.

وقد عرف لبنان في الفترة ذاتها صالون حبوبة حداد في بيروت، وأنصاف الأعور معضاد في عاليه (جبل لبنان)، وصالون السيدة فضيلة فتال في طرابلس – ابتداءً من ١٩٨٨، وندوته شهرية. يقول الباحث عيسى فتوح عن صالون فضيلة فتال: " كان حلم تأسيس صالون أدبي يراود السيد فضيلة فتال منذ أن كانت في الرابعة عشرة من العمر، وكانت وهي طالبة على مقاعد الدراسة تقرأ الكثير عن صالون مي زيادة وعن الصالونات الأدبية في فرنسا، وحين ترسخ الحلم في نفسها ترجمته إلى واقع وأفردت له مكانا واسعا في منزلها الفخم الأنيق وساعدها فيه كل من الشاعرة ناديا نصار رحمها الله والأستاذين يوسف مارون ونضال أبو حلقة، كما تعاونت فيه مع عدد من الأدباء والكتاب السوريين بحكم قرب مدينة طرابلس من سورية ". وتقول السيدة فضيلة عن صالونها، وهي بهذا ترسم المبادئ وتحدد الوسائل والأهداف لإقامة صالون مثمر، تقول: " إنه ملتقى فكري حضاري أو منبر حر أسعى من ورائه إلى تحقيق بعض الأهداف من خلال انتقاء بعض الأشخاص ليحاضروا فيه، حتى نقول ما نريد، ونناقش ما نقول ليكون ذلك نقطة تواصل وارتقاء، وقد حققنا بعض أهدافه ألا وهي الانفتاح التام، وهذا ما كنا نفتقر إليه في لبنان على جميع التيارات

الفكرية والدينية والسياسية والثقافية، وعلى الصالونات الأدبية الأخرى كصالون الشاعرة إنصاف الأعور معضاد وصالون الدكتور جورج طربيه في منطقة جبل لبنان، والصالون الجوال في منطقة البترون بالإضافة إلى اتصالاتنا المفتوحة مع البيت الثقافي في زغرتة، لسنا متقوقعين ضمن معينة، فالصالون مثلا دعم ريمون أنطون وفرقته مسايا التي تقدم الأعمال الفنية الراقصة، ونحن مستعدون للوقوف إلى جانب أي عمل فني راق. أما اختيار المحاضرات فيأتي بعد درس دقيق للمحاضر واتجاهه الفكري، وتوجه الدعوات للحضور عن طريق وسائل الإعلام "[٣٦].

وفي العراق ترتبط الصالونات بمساحة المتاح للمواطن من الحرية السياسية، ولهذا لم تنتشر الصالونات إلا مؤخرا جدا، وبالنسبة للمشاركة النسوية يذكر صالون صفية السهيل وقد أعلنت عنه (٢٠٠٩) وكان هذا الإعلان من داخل بيتها، وهو على شكل مبنى مصنوع من حزم القصب، يعرف باسم "المضيف"؛ بني على غرار الطراز المعماري لمباني منطقة الأهوار جنوبي العراق، وفي يوم افتتاح المضيف حضره أكثر من ثمانين شخصا من الرجال والنساء المشغولين بالثقافة، وقد أفاض المحررون الذين عرضوا لموضوع الصالونات في العراق كيف كانت السياسة والتسلط سببا في اختفاء الصالونات، وكيف حدث ما يشبه الانفجار لكثرة الصالونات التي أسسها رجال، وبهذا ظل اسم "صفية السهيل" فريدا في هذا المجال، وإن أضيف إليه صالون صبيحة الشيخ داوود في بغداد دون تحديد للتاريخ.[٣٧].

وتشير بعض المصادر السعودية إلى أن انطلاقة الصالونات الثقافية النسائية في المملكة كانت في مدينة جدة، وذلك قبل أكثر من أربعين

عاما، ثم حدث الانتشار والتنوع فيما بعد، وتنسب هذه الانطلاقة الأولى للفنانة التشكيلية "صفية بن زقر"، وتلاها في ذلك صالون "مها فتيحي"، وصالون الشاعرة "سارة الخثلان" في مدينة الدمام، وصالون "سلطانة السديري" بالرياض، وصالون الدكتورة وفاء المزروع، كما أسست "نبيلة محجوب" صالونها الثقافي النسائي بنادي جدة الأدبي. ومن الواضح أن هذه الصالونات النسائية إنشاءً ورعاية تختص بأن روادها من النساء كذلك.[٣٨] وهذا العدد قليل إذا وضعنا في الاعتبار سعة رقعة المملكة، وتعدد أقاليمها، ومدنها الكبيرة، ووضوح ظاهرة النوادي الأدبية في هذه المدن، مع مؤثر آخر وهو ضيق مساحة الحرية الاجتماعية للمرأة، بما يستلزم التوسع في الصالونات النسوية لتعويض الفصل بين الرجال والنساء. وتتأكد هذه الملاحظة بالمشاركة النسوية الواضحة في ندوة بعنوان: " لقاء الصالونات الثقافية ودورها في نشر ثقافة الحوار " (مكة ٢٠ – ٢١ مايو ٢٠٠٦) فقد شارك في الندوة أربعون باحثا وباحثة، بينهم ثمان من النساء، وهن: سارة مُحَمَّد الخثلان – عواطف أديب سلامة – أمجاد محمود رضا – مها أحمد فتيحي – هانم حامد باركندي – سلطانة عبد العزيز السديري – صفية بنت زقر – مريم بنت مُحَمَّد الجهني. وهذه نسبة مقدرة، وبخاصة أنه بينهن ثلاث يحملن درجة الدكتوراه.

٥- صالونات الرجال في الوطن العربي

تأكد بأكثر من وجه أن "المرأة" هي مبدعة الصالون (العربي) والسابقة إلى إقامته قديما وحديثا، ولكن يبدو أن الثقافة الذكورية غير سعيدة بهذا التميز،

ولهذا نلاحظ أن التأريخ لصالونات الماضي النسائية يغرق في امتداح صاحباتها، فإذا وصل إلى الصالونات المعاصرة اكتفت تلك الثقافة الذكورية بذكر الأسماء مع القليل من المعلومات. في حين يتوسع في تتبع الصالونات " الرجالية " ويتعقب صورها ومواقعها.. وليس في هذا التوسع تجاوز أو تحريف، ولكنه لا يتسق مع " التضييق " على صالونات النساء، وهن الأحق بالمآزرة لأسباب غير النوع، فالصالون النسوي – سواء كان وقفا على النساء، أو متاحا للرجال والنساء – يؤدي وظيفة اجتماعية مهمة هي التأكيد على وحدة النسيج الاجتماعي، والاعتراف بكفاءة المرأة وأنها نظير الرجل بلا تفرقة، كما أن الصالونات النسوية – كما يدل الإحصاء والوصف – أكثر تنوعا في رعايتها لفنون مختلفة، كالموسيقى والفنون التشكيلية، وأن " إدارة " المرأة للصالون أقرب إلى تحقيق الدور الثقافي والأخلاقي المنوط بالصالون من إدارة الرجل، وهنا قد يتسع المجال للمقارنة (على سبيل المثال: بين صالون تديره ميّ زيادة وصالون يديره عباس محمود العقاد) ولكننا نتوقف عن إجراء مثل تلك المقارنة لاختلاف الزمن، وشخصية صاحب الصالون، ونوعية المترددين عليه. ومهما يكن من أمر فإن هذه الفقرة التي نسجل بها أهم الصالونات التي أسسها وأدارها رجال على امتداد الوطن العربي لا يمكن أن تتسع لجميع الأسماء التي تستحق الذكر، وبخاصة أننا نعتمد على عدد محدود من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، وهي – غالبا – تكتب عن بلد واحد، أو عصر محدد، وهذا نفسه ما تنتهجه صفحات " الانترنت " على كثرتها، إذ لا يمكن أن توصف بشمول التتبع للظاهرة، وفي هذا السياق قد اضطر إلى الاعتماد على ذاكرتي أو تجربتي عند الضرورة القصوى والاطمئنان إلى سلامة المعلومات.

يتصدر اسم عباس محمود العقاد صالونات الرجال في العصر الحديث، فهو أوسعها شهرة، وأسبقها (وان لم نجد تحديدا لبدايته) وأكثرها روادا، وأعلاها قيمة وحيوية، وأطولها عمرا كذلك. وسنعقد له إطلالة خاصة عبر رؤية أنيس منصور. وفيما عدا هذا الانفراد " العقادي " فإن ظاهرة التجمعات الثقافية حول " مثقف كبير " أخذت غير وجهة، وتنقلت في أكثر من مكان، كما سنرى.

ولكننا قبل أن نتمهل عند صالون العقاد نشير إلى أنه مسبوق بصالونات متنوعة انتشرت في القاهرة في النصف الأول من القرن العشرين مرتبطة بدوافع التحزب السياسي، والتوجهات الثقافية، ومن اشهرها: صالون آل عبد الرازق، وكان رعاته – من قبل روادا في صالون نازلي فاضل. عن صالون آل عبد الرازق نورد هذا التعريف المجمل:

صالون آل عبد الرازق بالقاهرة

" آل عبد الرازق من أعيان الريف: قرية أبو جرج محافظة المنيا، (حسن وابناه: مصطفى وعلى)، وكان كبير الأسرة (حسن) يحمل رتبة البكوية (بك)، ونال مصطفى رتبة الباشوية (باشا) وشغل منصب وزير الأوقاف، وقد تنازل عن الرتبة حين أصبح شيخا للأزهر، ورد ذكر آل عبد الرازق في مواقف وطنية وعلمية مشهودة. أشارت سوزان (زوجة طه حسين) إلى رعايتهم لعميد الأدب، في ذكرياتها التي روتها بعنوان " معك "، وقد عرفنا أن الشاعر حافظ إبراهيم كان يتردد على صالون آل عبد الرازق، من ثم يعد هذا الصالون أحد مصادر ثقافته، وذكر نجيب

محفوظ أنه درس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب تلميذا لمصطفى عبد الرازق، كما أعد نجيب محفوظ دراسة تحت إشرافه، في الفلسفة الإسلامية بعنوان: " فلسفة الجمال في الإسلام "، ولكنه لم يتمها وصرف نشاطه إلى كتابة الروايات والقصص القصيرة.

وهذه فقرة طريفة مقتطعة من مقالة كتبها عرفة عبده علي – بصحيفة أخبار الأدب (العدد رقم ١٠٩٣ / ٦ من يوليو ٢٠١٤) تصف سهرات صالون آل عبد الرازق في شهر رمضان خاصة.

" كانت سراي آل عبد الرازق بشارع جامع عابدين، تواجه " باب باريس " الباب الجنوبي لقصر عابدين، قصر منيف عظيم بحديقته الغناء وأشجاره الباسقة، عامر دائما بحركة الوافدين إليه، وبالخدم والسائقين والبستانية، فكان من أعظم المنتديات السياسية والأدبية...

اشتهر الصالون الأدبي لهذه السراي في مجتمع القاهرة خلال النصف الأول من القرن الماضي (العشرين)، فعميد العائلة "حسن باشا عبد الرازق" كان واحداً من الشخصيات الأكثر تأثيرا في الحياة السياسية المصرية وخدمة القضايا الوطنية، وابنه د. علي عبد الرازق صاحب كتاب "الإسلام وأصول الحكم" الذي أثار ضجة في ذلك العصر.. والابن الأكبر " مصطفى باشا عبد الرازق " والذي تتلمذ على يد الإمام مُحَمَّد عبده وحصل على درجة الدكتوراه في جامعة السوربون، عين أستاذا للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة ليون، وعاد أستاذاً للفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة، وشغل منصب وزير الأوقاف ثلاث مرات متتالية

إلى أن صدر الأمر الملكي بتوليه مشيخة الأزهر الشريف، وتنازل عن لقب " الباشوية " مفضلا لقب " الشيخ "، كما كان من أبرز أعضاء مجمع اللغة العربية الملكي (مجمع الخالدين).. لقد كان الشيخ مصطفى عبد الرازق: سيداً من سادات زمانه علما وفضلا وسخاء ونبلاً، وطرازاً فريدا من رواد الثقافة العربية والإسلامية.

تجدر الإشارة إلى أن أول فرع عربي لنادي القلم الدولي تأسس في هذا الصالون الشهير، كما عقدت بعض مؤتمرات نادي القلم الدولي في هذه السراي..

وكان هذا الصالون ملتقى أعلام السياسة والصحافة ونخبة المفكرين والأدباء.. وفي جولاتنا بالقاهرة، قال لي الكاتب والمفكر ونقيب الصحفيين الراحل والصديق "كامل زهيري ": كان من رواد هذا الصالون الذي مثل " أرستقراطية الفكر " العميد طه حسين، الفيلسوف أحمد لطفي السيد، د. مُحَمَّد حسين هيكل، عبد القادر حمزة باشا، مُحَمَّد فريد وجدي، عباس العقاد، أحمد أمين، د. عبد الحميد بدوي، حافظ إبراهيم، أحمد حسن الزيات وغيرهم من الأعلام. وفي ليالي رمضان، كان ينضم إليهم: مصطفى المراغي، عبد المجيد سليم، حسن مأمون، د. مُحَمَّد الفحام (وجميعهم تولوا مشيخة الأزهر) والشيخ العالم مُحَمَّد عبدالله دراز، مصطفى صادق الرافعي، د. منصور فهمي (مدير دار الكتب)، د. إبراهيم مدكور، د. علي بهجت و د. علي إبراهيم باشا الجراح العالمي وأول عميد مصري لكلية الطب وصاحب أندر مجموعة سجاد على مستوى العالم.. وغيرهم من العلماء ورجال الفكر، واستقطب أيضا تلاميذ الشيخ من طلاب الأزهر.. وكانت

السهرة الرمضانية في سراي مصطفى عبد الرازق تبدأ عقب صلاة التراويح بتلاوة قرآنية من الشيخ عبد الفتاح الشعشاعي أو الشيخ أبو العينين شعيشع وغيرهما من أعلام القراء.. ثم تتألق السهرة والجمع في مناقشات وحوارت تتناول جوانب من شخصية النبي ﷺ وسير الصحابة وأعلام التابعين، وفنون الإعجاز في القرآن، ومسائل فقهية، وعن إصلاح الأزهر وتطويره، وفي التاريخ الإسلامي، وفي الأدب العربي واتجاهاته، وفي الثقافة الإسلامية عامة، وتأثير الحضارة الإسلامية في الحضارة الغربية..

وخلال السهرة، كان خدم السراي يقومون بتوزيع أكواب العصائر وأطباق الحلوى الشرقية وأقداح القهوة والقرفة.. وفي السحر، عندما يتهادى صوت مسحراتي حي عابدين، توزع أطباق الأرز باللبن مزدانة بالمكسرات وسلاطين الزبادي " الفخارية ".. ثم يتوجه الجميع إلى " جامع عابدين " الملاصق للسراي الملكية، لأداء شعائر صلاة الفجر.. فكانت مسك الختام..

ولما كان الشيخ مصطفى عبد الرازق، معلماً وفيلسوفاً وصاحب رسالة هي التوفيق بين القديم والحديث وبين الشرق والغرب، فقد كان حريصا في حواراته في هذه السهرات وغيرها في صالونه على تأكيد مبدئه الأساسي: أن هناك شيئا يسمو فوق العلم والأدب هو: " الأخلاق ".

هذا واحد من صالونات النصف الأول من القرن العشرين، زمن التفاعلات السياسية والثقافية في مصر، أما فيما بعد فقد اتجهت الصالونات وجهات مختلفة..

في مقال قصير كتبته " ميادة حافظ"[٣٩] تحت عنوان: " صالونات القاهرة الثقافية.. أدبية، وأحيانا سياسية " تذكر من صالونات القاهرة (المعاصرة): صالون الدكتور " وسيم السيسي "، ويعقد في ضاحية المعادي منذ ١٩٩٣، وهو طبيب مشغوف بالتاريخ المصري القديم (عصور الفراعنة) وله مقال أسبوعي بصحيفة " المصري اليوم " ينهج الاتجاه نفسه، ويقام صالونه بمنزله الجمعة الأخيرة من الشهر.

قدم الدكتور السيسي تعريفا مجملا بصالونه، ننقل منه بنصه:

" مؤسس صالون المعادي الثقافي هو الدكتور وسيم رشدي السيسي رئيس أقسام الكلى والمسالك البولية بالمستشفيات التعليمية، وهو حاصل على دكتوراه الجراحة العامة من جامعة جلاسجو F.R.C.S باسكوتلانده، وجراحة الكلى والمسالك البولية من كلية الجراحين الملكية بانجلترا (F.R.C.S (ENG.

له اهتمام شديد بعلم المصريات، وله مؤلفات منها:

– ما لا تعرفونه عن مصر.

– مصر علمت العالم.

– مصر المفترى عليها.

له عملية جديدة باسمه في جراحة البروستاتا، كما له أيضا اختراع جهاز في جراحة المسالك، أخذ عنه براءة اختراع من أكاديمية البحث العلمي بالقاهرة.

بدأت فكرة هذا الصالون سنة ١٩٩٣، وكان افتتاح هذا الصالون في الجمعة ١٩٩٣/٧/٣٠ وكان المتحدثون في هذا الصالون:

١- جلال الرشيدي.. الوزير المفوض والخبير بالمجلس القومي للسكان.. وكان الموضوع عن القنبلة السكانية.

٢- أ. د. رزق بولس.. أستاذ طب الأسنان بجامعة لندن، وكان الموضوع: الفم والأسنان.. مرآة الجسم وأمراضه.

٣- أ. د. وسيم السيسي.. أضواء على انجلترا علميا واجتماعيا.

٤- اللواء أركان حرب مصطفى ماهر: الاستراتيجية، صناعها وصناعتها.

٥- التدخين القاتل: أ. د. رمزي يوسف.

هذه الاجتماعات شهرية.. آخر جمعة من كل شهر باستثناء سفري إلى الخارج لحضور مؤتمرات علمية أو ثلاثة أشهر للصيف.

يحرص الدكتور وسيم السيسي على أن يتخلل الندوة عزف وموسيقى على آلات موسيقية كالبيانو أو العود أو القيثارة أو الأورج، فهو يؤمن أن الفنون تغلق السجون.

وعدد الحضور في صالون الدكتور وسيم يتراوح من مائة إلى مائة وخمسين شخصا من النساء والرجال، ولكنه يحظر حضور الأطفال كما يحظر مقاطعة المتحدث حتى ينتهي من كلمته.

يمنع الدكتور وسيم مناقشة أية مواضيع سياسية أو دينية لأنه يؤمن بما

قال ابن رشد: يجب مناقشة الأمور السياسية أو الدينية في أقل عدد من الناس، ذلك لأن الجموع الكبيرة تخضع لأعلاها صوتا، بينما الجموع الصغيرة تخضع لأصوبها فكرا.

يحضر الصالون كوكبة من الشعراء والعلماء والأطباء والفنانين.. منهم على سبيل المثال: أ. د أحمد تيمور، أ. سيد حجاب، سمير الاسكندراني، عادل إمام، هاني عازر، هاني النقراشي، زينب بركات، علي سالم، جمال عبد الحليم، أحمد شفيق، ألفت السباعي، مُحَمَّد أبو الغار، رجاء منصور، حسن عباس زكي (وزير الاقتصاد السابق)، أحمد أبو السعود، أحمد مستجير... وغيرهم مئات لا يتسع المجال لذكرهم جميعا ".

ويتشابه صالون الدكتور مُحَمَّد حسن عبدالله مع سابقه في أربعة أشياء، أنه يقام في ضاحية المعادي أيضا وفي منزله، في الجمعة الأخيرة من الشهر وأنه أسس عام ١٩٩٣ أو قبلها بعام واحد، ولكن توجهاته تختلف إذ يعنى بالتراث العربي أدبا وفكرا ولغة، كما يعنى بإتاحة الفرصة للمبدعين الجدد من الشباب، ويتابع القضايا الحضارية والعلمية المطروحة في نقاشات المثقفين. وتكاد الصالونات الأخرى مثل صالون الدكتور (الطبيب) أحمد تيمور يعقد أول كل شهر بحي الهرم، وصالون الدكتور عبد المنعم تليمة (الأسبوعي) الذي يعقد بمنزله بالدقي، وصالون الدكتور حامد طاهر، وهو آخر صالونات القاهرة تأسيسا (٢٠٠٧) يقام بمنزله الاثنين الأول من كل شهر، تكاد جميعها تلتقي عند الحفاوة بالشعر والإنتاج الأدبي عامة مع اهتمام واضح بقضايا النقد. هذه أهم الصالونات، وليست كلها. وكانت هناك في القريب صالونات ذات حضور ولكن انطوت صفحتها برحيل

أصحابها مثل " صالون الوسطية " – لمؤسسه الدكتور عبد الحميد إبراهيم – وقد كتب عنه جابر قميحة في دراسته التي نوهنا عنها سابقا، " وصالون الفجر " ولم يكن له مقر، وإنما يعقد في مقهى بالجيزة أو بأحد نواديها، وصالون " كامل كيلاني "، وصالون " الرابطة الإسلامية "، وصالون " مشخص " وهو صالون يرعاه عبد الحميد مشخص، السعودي المقيم بالقاهرة، كان يقيمه في مسكنه بالدقي (الجيزة) ويتردد عليه شعراء ومثقفون ممن كانوا رواداً دائمين لصالون العقاد، وقد ابتدأ أوائل السبعينيات، وكان يقام مساء كل يوم جمعة.

وفي الإسكندرية صالونات مستقرة ومشهورة.

ومن أشهر صالونات شمالي الدلتا صالون المهندس (الروائي) أحمد ماضي، يقام الاثنين الأخير من كل شهر بمنزله بقرية القرضا بمحافظة كفر الشيخ، وقد بدأ عام ٢٠٠٠، ويؤدي رسالته في استضافة أدباء ونقاد من أنحاء مصر دون توقف، كما أنه يصدر نشرة تسجيلية يوثق بها حواراته.

وفيما يتعلق بالقاهرة بصفة خاصة نضيف أمرين: الأول: أنها عرفت نوعا من الصالونات (التي يمكن عدها ندوات مصغرة مفتوحة) أقامتها من قبل، وللآن، مؤسسات صحفية أو عائلات، فقد كان لجريدة السياسة صالونا ، و" لجماعة أبولو " منتدى، وللمقتطف أيضا، كما أقام " محمد عبد القدوس " صالونا شهريا بدار روز اليوسف باسم والده الأديب الصحفي إحسان عبد القدوس يناقش فيه إبداع إحسان، كما تناقش فيه القضايا العامة الراهنة.

الأمر الثاني: أن نجيب محفوظ، منذ اشتهار أدبه أواسط خمسينيات القرن العشرين وحتى زمن رحيله (٢٠٠٦) كان يقام حوله أكثر من صالون، بدأ بركن في ملهى ليلي (وكان الصالون يعقد كل جمعة صباحا) بميدان الأوبرا القديمة، وحين ضيقت عليه الجهات الأمنية أخذ الصالون يتنقل، وقد حضرته في إحدى " الدهبيات " الراسية على شاطئ النيل قبالة فندق هيلتون، وحضرته في جانب من كازينو فندق بولمان بالمعادي. وتعددت صالونات محفوظ مع علو نجمه وإقبال القراء على أدبه، فكان ضيفا أسبوعيا على صالون أستاذ علم النفس يحيى الرخاوي بعيادته بالمقطم. أما الأشهر الثلاثة التي كان محفوظ يقضيها في الإسكندرية كل صيف فكان يتخذ مجلسا ثابتا في كازينو بترو الذي يعلو هضبة سيدي بشر، وكان يشاركه توفيق الحكيم، إلى أن ازيل الكازينو فانتقل المجلس إلى مدخل فندق شانزليزيه وهو قريب من الموقع السابق، حتى إذا رحل الحكيم (١٩٨٧) نقل محفوظ مجلسه إلى حديقة فندق سان استفانو على كورنيش الإسكندرية أيضا، وقد حضرت العديد من صالونات محفوظ في القاهرة والإسكندرية، وتابعته كما تابعت الحكيم ما بين بترو وشانزليزيه في الصيف، ووصفت تجربتي مع الحكيم في كتاب " الحكيم وحوار المرايا " أما محفوظ فكان أدبه موضوعا لأكثر من دراسة، ولم انقطع عن صالوناته إلا بعد أن تدهورت حواسه (السمع والبصر) فلم احتمل رؤيته وغبت عن المشهد كله، وتركته مضطرا للمستفيدين منه حتى رحيله.

وتحرص الكتابات الحديثة عن الصالونات على ذكر انتشارها وتنوعها في المملكة العربية السعودية، وتلفت الصحافية رواء أحمد حسن، على

صفحة الأديبة فاطمة شعبان على الشبكة العنكبوتية إلى أن صالونات المملكة استأثرت بتعدد المسميات ما بين رواق، وملتقى، وجلسة، وأحدية، وتلوثية، وخميسية، ربما إلى سائر أيام الأسبوع!! وتستكمل " الجزيرة الثقافية " الإشارة السابقة إلى أنه يحلو للبعض تصنيفها حسب أيام الأسبوع: السبتية، والأحدية، والإثنينية.. إلخ، وأن كل صالون يخصص لنفسه يوما ثابتا، فإذا كان الصالون يعقد نهارا سميّ " قيلة " – نسبة إلى وقت القيلولة، فإذا كان انعقاده ليلا سميّ " ليلة "، وقد جرى العرف على أن " القيلة " – أي الندوة النهارية – تعقد في أحد البساتين، فإذا تعذر ذلك عقدت في منزل أحدهم بالتناوب!!

ومن الوجهة الزمنية يشار في صفحة " منتدى الثلاثاء الثقافي " إلى صالونات ما قبل العهد السعودي (في الحجاز) وهنا يذكر:مجلس الشاعر عبد الجليل برادة المدني، وندوة السيد أنور عشقي، في الفترة ذاتها تقريبا، وندوة الشيخ عمر كردي الكوراني، وهو أحد قضاة المدينة وشعرائها المعروفين. وفي عهد الازدهار السعودي تغطي الصالونات أيام الأسبوع، وتسجل صحيفة الجزيرة: (الإصدار الدولي) ما يؤكد ذلك، وقد تصدرت قائمة بالمجالس الأدبية، بعضها مكتف بأعضائه (ندوة مغلقة) من اشهر أعضائها عبد القدوس الأنصاري، صاحب مجلة المنهل، وعثمان وعلى حافظ صاحبا جريدة المدينة. ومن أهم المجالس: مجلس آل عباس، ومجلس آل القمقحي، ومجلس برزنجي، ومجلس داغشتاني، ومجلس طرابزوني الحسيني، ومجلس الدكتور الدعيسي.. وغيرهم. فإذا اتجهنا إلى الصالونات المرتبطة بأيام الأسبوع سنجد – مرة أخرى – ما يؤكد هذا الازدهار

أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي: فخميسية حمد الجاسر الثقافية، واثنينية عثمان الصالح، وأحدية الدكتور راشد المبارك، وخميسية باجنيد، وأحدية أبي عبد الرحمن بن عقيل، وثلاثية مُحَمَّد المشوح، واثنينية عبد المقصود خوجة، وثلوثية الطيب في مدينة جدة، وأحدية أحمد المبارك، واثنينية النعيم، واثنينية العفالق، وثلوثية المعلوث بالأحساء، واثنينية أبو ملحة في أبها، وأثنينية تنومة، وغيرها.

ولنا ثلاث ملاحظات:

١- ندرة المعلومات عن طبيعة وتوجهات هذه الصالونات ومواقعها على امتداد المملكة، وبخاصة أن أكثر من صالون يحمل اسم اليوم نفسه، بما يعني أن يكون في المدينة ذاتها وفي اليوم نفسه أكثر من صالون، أو أن كل صالون كان ينفرد بمدينة، وكان ينبغي تحديد هذا بالكامل.

٢- تشير الفقرة المخصصة للصالونات على أن هذا التوجه العام بدأ مع سبعينيات القرن الماضي، دون تحديد، وكأنها جميعا بدأت في وقت واحد.

٣- هناك صالونات مذكورة في السياق لم تحمل سمة يوم من أيام الأسبوع؛ مثل ندوة النخيل للدكتور مُحَمَّد بن سعد بن حسين، وندوة سعود المريبص بمدينة الرياض. ويصور الدكتور راشد المبارك – صاحب الأحدية الشهيرة في الرياض – أشواق رواد الصالونات إلى المعرفة، واندماجهم في أجواء بعيدة عن دائرة المال والأعمال، فتنقل الدراسة عنه قوله: " يحضر الندوة (يعني ندوته خاصة) فئات من

الناس المختلفة في اهتمامها وتوجهها، وفي أذواقها وأشواقها، توجد فئة ترغب الخروج من هموم الأرض وغبارها، واستبدال جذب فضتها وذهبها بالتوق إلى زاد المعرفة ومتعة الثقافة وفسحة العلم. هذه الفئة تجد متعة في توسيع مداركها بالمعرفة، وتقويم نظرتها بالعمل والإطلالة إلى الآخرين في أفكارهم وتوجهاتهم من نوافذ الثقافة. ولقد عرف هذا الميل بطبيعة البشر منذ القدم ". ليست هذه مجرد عبارات جاهزة أو مألوفة، إنها تكشف عن واعز فطري من جانب، ورغبة في التمرد على الحصار المادي من جانب آخر.

٤- هناك تفاوت في نُظُم هذه الصالونات السعودية، من حيث المحاور الموضوعية وطريقة الإدارة، فخميسية المرحوم أحمد الجاسر توازن بين طرح موضوع محدد، وعفوية المشاركة، أما خميسية الوفاء بمنزل السيد أحمد باجنيد فتحتفي بالشعر وتمنحه وقتا محددا في ختام كل أمسية. أما الدكتور راشد المبارك فيحرص على طرح برنامج متكامل لكل موسم.. إلخ. وتضيف دراسة جابر قميحة إشارة إلى صالونات عبد المقصود خوجة في جدة، كما تضيف دراسة عن ندوة بفنون جازان عن الصالونات الأدبية تعريفا بصالون الشاعر عبد الرحمن موكلي، وصالون إبراهيم الذروي، وصالون الزاهد النعمي، وإبراهيم النمازي صاحب صالون السلاسة الأدبي، وصالون على الكاملي، وعصام خواجي صاحب ديوانية الخواجي.

ومع تعدد الصالونات تشير المقالة التي نحن بصددها إلى ما تسميه " المجالس المفتوحة " التي يتصدرها كبار رجال الدولة في أيام محددة، ويغلب

عليها صفة " الثقافة " لمكانة أصحابها ونوعية حضورها. ويمكن أن نضيف إلى هذه المجالس المفتوحة النوادي الأدبية التي تحمل أسماء مدن المملكة، ولها نشاط محمود في تجميع المشتغلين بالثقافة، وعقد الندوات، ونشر الكتب أيضا.

إن ما سبق تسجيله لا يستوعب كل ما ينبغي التعرف عليه من نشاط في هذا الاتجاه، ونرى أن الأمر يستحق عناية خاصة أكثر تفصيلا.

وفي الكويت تنتشر " الديوانيات " كملتقى أسبوعي لشخصيات معروفة ولأبناء الأسر الكبيرة والقبائل، ولكن هذه الديوانيات لا تنعقد – في جملتها – حول الثقافة أو الأدب، وهناك من بينها من اتخذ هذه السمة، وفي مقدمتها " ديوانية الغنيم " التي يرعاها الإخوة الثلاثة الدكاترة: يعقوب يوسف الغنيم، وأخواه عبدالله ومرزوق، وقد تخرج ثلاثتهم في الجامعات المصرية، وتشربوا الثقافة من ندوة العلامة محمود مُحَمَّد شاكر الذي يتخذونه أبا روحيا، وقد أكسب هذا التواصل ديوانية الغنيم مذاقا مميزا، فإلى جانب الصلات العائلية والعشائرية قصدها المثقفون من أهل الكويت ومن ضيوفها على السواء(٤٠). وفي كتابه السردي الشائق بعنوان: " الأزمنة والأمكنة " ومن خلال حفاوته بالثقافة والمثقفين ووفائه لأصدقاء ديوانيته، يعرض الدكتور يعقوب عبر السياق – جانبا من طبيعة الصالون أو الديوانية، كما يفضل أهل الكويت على تسميته، فحين يكتب مقالا قصيرا عن الأستاذ عبد الحميد البسيوني (مصري عمل بوزارة التربية حين كان الدكتور وزيرا للتربية) يمتدح عمق معارفه وطيب أخلاقه معا، ويذكر أنه تعرف إليه في بيت محمود شاكر بالقاهرة، ولكنه بعد أن قدم إلى الكويت

أصبح ركنا من أركان ديوانية الثلاثاء (في بيت الغنيم): " كان يجلس بيننا فيثري الجلسة بعلمه الغزير ويجيب كل سائل، ويستعرض الكثير مما أمضى عمره في دراسته وقراءته فيقدمه في دقائق معدودة مختصرا قريبا للأذهان[٤١] ".. إلخ. وفي فقرة أخرى يذكر الدكتور يعقوب أن الجلوس في ديوانية الثلاثاء بقصد الثقافة بدأ عام ١٩٧٨، وانه مستمر، وأن عبد الحميد البسيوني كان أقرب إلى موقع " مدير الندوة " إذ كان يتابع الحوار ويعدّ بعض الأطروحات. ويدخل في حوارات مع عبد اللطيف عبد الرزاق الديين، ويؤكد الدكتور يعقوب على الطابع الحواري كأسلوب لتبادل المعرفة في ديوانية الثلاثاء. ويتطرق المقال إلى ذكر بعض رواد هذا الصالون، ففضلا عن الأخوة الثلاثة، وعبد الحميد البسيوني؛ وعبد اللطيف الدين، ترد أسماء: الدكتور محمود الطناحي، والأستاذ مهنا حمد المهنا، والأستاذ محمود حربي، والأستاذ المربّي عبد العزيز البحر. وفي مكان آخر يضيف اسم: مُحَمَّد خليفة التونسي، الشاعر اللغوي الأديب، مترجم بروتوكولات حكماء صهيون[٤٢]. وقد اطلعنا على قائمة بأهم الأسماء التي حضرت وحاضرت في صالون الغنيم، بالإضافة إلى الأسماء السابقة، في مقدمتهم: محمود مُحَمَّد شاكر، شاكر الفحام، ناصر الدين الأسد، أحمد شوقي بنبين، عبد الهادي التازي، مُحَمَّد شبوح، عبد العزيز المانع، ماجد النعيمي، يوسف زيدان، توفيق الفيل، محمود حسن إسماعيل، أحمد السقاف، عبدالله زكريا الأنصاري، إبراهيم الشطي، يوسف البحر، يوسف الحشاش. وهؤلاء الأعلام يمثلون الثقافة في الكويت ومصر وسورية والأردن والمغرب وتونس والسعودية والبحرين، مما يجعل من ديوانية الثلاثاء في بيت الغنيم بضاحية

المنصورية ملتقى الثقافة العربية بحق. هذه الأسماء ذات الثقل الفكري والثقافي هم أركان صالون الثلاثاء في بيت الغنيم، وكما نرى فإن التآلف الفكري هو أساس تجمعهم، فالتواصل بينهم يبدأ في ندوة أو في بيت محمود شاكر، وهذا مؤشر على درجة الجدية، بما يجعل هذه الديوانية ذات خصوصية يصعب أن تتكرر.

أما ديوانية الأحد لمؤسسها الشيخ علي الصباح فأكثر روادها من أساتذة الجامعة مثل الدكتور مُحَمَّد الدالي، والدكتور عدنان غزال، والدكتور حسان الطيان، (وجميعهم سوريون) وبعض الدكاترة الكويتيين مثل الدكتور يوسف الحشاش، واتجاه هذه الديوانية تراثي، يعنى بالمؤلفات القديمة التي تطرح على طاولة البحث التشريحي الذي يتناول اللغة والحضارة والتاريخ.. إلخ. فكأنما يحققون تلك المؤلفات (وبخاصة حين يقابل بين مخطوط ومطبوع) أو يعيدون تحقيق ما سبق تحقيقه منها. يدير هذه الديوانية وائل الرومي، أما مرتكزها في الحوار العلمي فهو مُحَمَّد الدالي، وهو أستاذ متخصص في النحو. لم نجد مطبوعات يرجع إليها في توثيق مسيرة هذه الديوانية، ويرجح بعض روادها أنه قد مضى عليها نحو ربع قرن. وتشير دراسة مختصرة كتبتها ليلى مُحَمَّد صالح عن الصالونات الأدبية إلى صالون/ "منتدى المبدعين الشباب"، وقد بدأ نشاطه الأسبوعي منذ ٢٠٠١ وترعاه الشيخة باسمة الصباح، في إطار "رابطة أدباء الكويت" وله نشاطه الأسبوعي (مساء الأربعاء) الخاص به. كما تشير إلى "ملتقى الثلاثاء" الذي يقيمه الروائي الكبير إسماعيل فهد إسماعيل في بيته، كما تشير إلى نشاط الشيخة حصة صباح السالم التي تقيم أمسيات ثقافية أسبوعية (كل يوم

اثنين) من خلال دار الآثار الإسلامية[٤٣]. كما تنبه مقالة أمل الرندي بجريدة الرأي إلى " صالون اليقظة " – الذي تقيمه مجلة اليقظة في مقرها[٤٤]، وهذا التقليد معروف منذ جريدة " السياسة " ومجلة أبوللو في مصر، ولا يزال معمولا به في عديد من دور الصحف العربية في مختلف الأقطار، كما تشير دراسة جابر قميحة إلى ديوانية عبدالله العقيل، وكانت تعقد كل خميس. يقول عنها قميحة: "هي تشبه الصالون الأدبي، ولكنها كانت تتسع لكل المسائل والموضوعات، بما فيها أعمال التجارة وعقد الصفقات"!!

وفي العراق تأخذ الصالونات في بغداد وغيرها من المدن مداها، ولكن المهتمين بالتأريخ لها يذكرون الانقلابات العسكرية (بخاصة ١٩٥٨ ثم بعد سيطرة حزب البعث على السلطة١٩٦٨) عاملا سلبيا بعد ازدهار الصالون في عصر الملكية، (وهنا يذكر صالون الفنان التشكيلي جواد سليم في الخمسينيات، وقد أحدث ثورة في الفن على الصعيد العراقي والعربي)، وبعد صدمة عام ٢٠٠٣ (الحرب الأمريكية على العراق) اتجه دعاة الإصلاح لمقاومة اليأس وإعادة البناء، فظهرت الصالونات الثقافية بعد انقطاع طويل، ومن أهم هذه الصالونات، (وإن كانوا يفضلون وصفها بأنها مجالس)، وفي كتاب" مجالس الأدب في بغداد " يذكر: مجلس شيخ الصحافيين رفائيل بطي الذي يلتئم في إدارة جريدته (البلاد) مساء الأحد من كل أسبوع، ومجلس العلامة الأب انستاس ماري الكرملي، الذي ينعقد في مكتبه بكنيسة الآباء الكرمليين، ومجلس نادي القلم العراقي الذي يتصدره العلامة مُحَمَّد رضا الشبيبي، ومجلس طه الراوي، ومجلس آل الألوسي

في جانب الكرخ، ومجلس السيد ناجي سادن الأعظمية، وكان في الحجرة التي على يمين الداخل لجامع الإمام الأعظم.. وكان يتردد عليه الوزراء وشخصيات البلد والأدباء والشعراء وزوار تربة الإمام الأعظم أبي حنيفة. و"منتدى كاشف الغطاء"، و "منتدى رواق المعرفة" ومقره مضيف إياد جمال الدين، في منطقة الجادرية / الناظمية، ويشرف عليه الإعلامي ناصر الياسري، ويقام كل جمعة، و "منتدى المدى الثقافي" ويقام في شارع المتنبي كل يوم جمعة كذلك، و "منتدى جاسم الربيعي"، و "منتدى الإسلام المعاصر" للباحث احمد القنبجي الذي يوصف بأنه يتبنى مشروع الإسلام الحداثوي(!!)[٤٥].

في مقال موجز عن صالونات بغداد بعض التفصيل عن نشاط منتدى رواق المعرفة بذكر المحاضرين به، وإن أكد على الطابع الحواري في طرح موضوعاته، وهذه الموضوعات تتشعب في كافة فروع المعرفة ما بين أعلام العراق، والآثار، والمسرح والإعلام، والحكومة الالكترونية، والفلسفة، والشعر.. إلخ، وطبيعي أن تكون بغداد، وأن يكون العراق، وأن تكون أحداث ما بعد ٢٠٠٣ هي الأسس التي يراعيها الجميع[٤٦]. وتقدم العراق " اجتهادا " خاصا في تطوير " شكل " الصالون بأن تقدم صالونا على الهواء، يقدمه من يعرف بابن سمينة، وقد أطلق على صالونه اسم " عراق شمس الحرية " وجمع في عضويته أكثر من (٢٥٠) مشاركا، في غرفة افتراضية، وهذا الصالون يومي، ولا يخضع لتخطيط أو ترتيب، وكأنه مجرد مساحة للإفضاء بالخواطر والأفكار الشخصية، ورواد الصالون (الهوائي) يتحدثون في كل شيء، ويعقبون على أي رأي، وجلهم من العراق، ولكنه صورة مصغرة للوطن العربي، أفادت من إمكانات تكنولوجيا الاتصال الحديثة[٤٧].

ويفهم من دراسة مبكرة أن الأردن (على مستوى العاصمة عمان، وبعض المدن الكبيرة مثل الزرقاء)عرف عددا من الصالونات، منها صالون الكاتب " أحمد أبو حليوة "، وفي عام ٢٠٠٨ كان صالونه قد بلغ العام الرابع من عمره[٤٨]، ولا نملك ألا أن نأمل استمراره وتكاثر إخوته في الأردن. وهنا مفارقة، فعلى تعدد الصالونات المنشأة بجهود ورعاية النساء في سورية منذ استقلالها في العشرينيات من القرن الماضي، لا نجد ذكرا لصالون ينسب إلى رجل سوى صالون الشاعر " مُحَمَّد خالد رمضان " وقد أسسه في مرحلة متأخرة (١٩٧٤) وأسماه: " سهرة أدبية " وقد اتخذ في نشاطه وجهة ايجابية في منح فرصة الظهور والتفاعل مع المجتمع الثقافي للمبتدئين من المبدعين (الشعراء والقصاص) دون إهمال لمكونات الصالون الثقافي من نواحي نقد الكتب، وأخبار الأدب، والتعريف بالأعلام[٤٩].. إلخ.

٦- المقهي الثقافي يرث الصالون

ومن المؤسف حقا أن المعلومات المتاحة عن الصالونات الثقافية في أقطار المغرب العربي (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا) تبدو شحيحة جدا، لا تكافئ واقع الثقافة في هذه الأقطار كما نراقبه في إبداعات شعرائها وروائييها ونتاج نقادها وبخاصة في تونس والمغرب، وهنا مفارقة أيضا بالنسبة للأقطار التي خضعت للحكم الفرنسي عشرات السنين، " فالصالونات "كانت ولا تزال أسلوبا فرنسيا، فربما كان المتوقع أن يتأثر المغلوب بالغالب، وبخاصة أنه تقبل لغته، ولكنه لم يأخذ بأسلوبه الاجتماعي، وظلت للبيوت حرمتها الخاصة، مع هذا لا يخلو الأمر من

إشارات دالة، مثل ما نجد في كتاب: " مقاهي الأدباء في الوطن العربي "، ففي معرض حديثه عن " صالونات البيوت في موريتانيا " يشير إلى صالون مُحَمَّد بن سالم بن عبد الودود المعروف بعدود، في العاصمة نواكشوط، وصالون المختار بن حاميدو(٥٠) (دون ذكر تفصيل يكشف عن طبيعة هذا الصالون)، وحين يعرض لمدينة طرابلس (ليبيا) يذكر صحيفة " الترقي " التي أسسها مُحَمَّد البوحيدي، ويقول إن مقر هذه الصحيفة أصبح مع مرور الزمن بمثابة المنتدى الثقافي الذي تشكل من شخصيات هي بمثابة أركان ثقافية، في مقدمتها إبراهيم باكير، وعلي بن عياد، ومصطفى بن زكري. وفيما يخص تونس (العاصمة) يشير إلى مجالس قديمة لا تزال قائمة مثل مجلس قدماء الصادقية، ومجلس يوم الأحد في الكتبية(٥١).

وقد التفت إلى ظاهرة ما يطلق عليه " مقاهي المثقفين " أو " مقاهي الأدباء " في الوطن العربي بعض الباحثين في تاريخ الأدب، وفي التطور الاجتماعي أيضا، وقد اعتد هذه المقاهي امتداداً لمجالس أو نوادي الأدباء في العواصم العربية التاريخية (قرطبة والقاهرة والقيروان وبغداد ودمشق) ويراها " ظاهرة صحية " وإرثا حضاريا نعتز به(٥٢). وقد سبقت الإشارة إلى ندوة نجيب محفوظ وكيف تنقلت بين مقاهي (وكازينوهات) القاهرة والإسكندرية.وفي كتاب الذوادي إحصاء طريف بمقاهي الأدباء بالقاهرة (الراهنة) يقدم له بإشارتين: الأولى: أن كبار الأدباء والساسة في مصر كانت لهم أركان ثابتة في مقاهي محددة، فكان الشاعر أحمد شوقي يجلس في " محل حلواني " وكان الزعيم مصطفى كامل يجلس في " دكان شربتلي " في ميدان باب الخلق، ونعرف أن جمال الدين الأفغاني كان يتخذ مجلسا

ثابتا بمقهى " متاتيا " في ميدان العتبة. أما الإشارة الثانية فترى أن التحول من " الصالون " إلى " المقهى " قد حدث في أوروبا كما في مصر، وأن هذا التحول صادر عن تحول طبقي(٥٣). ثم يقدم كتاب الذوادي سجلا شاملا بمقاهي المثقفين في القاهرة، وفي بعض المدن المصرية كذلك، وأشهرها:

- مقهى أفندية، بجوار الأزهر، ذكره عبدالله فكري.
- مقهى نوبار، وكان يلازمه المطرب عبده الحامولي.
- مقهى متاتيا، بميدان العتبة، وكان مجلسا للإمام مُحَّد عبده، وإبراهيم الهلباوي، وسعد زغلول، والعقاد، والمازني، وخليل مطران، وحبيب جاماتي.
- مقهى بار اللواء، شارع مظلوم باشا (حي عابدين) – وهو ينسب إلى " لواء " الزعيم مصطفى كامل، مؤسس مجلة اللواء، وكان من جلسائه: أحمد شوقي الشاعر، وصالح عبد الحي المطرب، وحافظ إبراهيم الشاعر، وعبد العزيز البشري الكاتب، وزكي مبارك الناقد، ومُحَّد حسين هيكل السياسي والكاتب، وكامل الشناوي الشاعر.
- مقهى ايزافيتش، ميدان التحرير، وكان يجتمع فيه أعضاء جماعة أبولو، ومن بعدهم الشاعران مُحَّد الفيتوري، وفوزي العنتيل، والأديب الفلسطيني كامل السوافيري.
- مقهى الفيشاوي في خان الخليلي/ حيّ الحسين، وكان مكانا مختارا للعقاد، وطه حسن، وزكي مبارك، ونجيب محفوظ، والشيخ مُحَّد متولي

الشعراوي (إمام الدعاة)، وبيرم التونسي، وصلاح جاهين الشاعر، وفؤاد حداد الشاعر.

- مقهى عرابي، ميدان الجيش بالعباسية، وكان يجلس فيه نجيب محفوظ مع أصدقائه المقربين فقط، ممن أطلق عليهم: الحرافيش، مساء كل خميس.
- مقهى عبدالله، بميدان الجيزة، وكان يجلس فيه الدكتور القط، والناقد أنور المعداوي، والشاعر محمود حسن إسماعيل.
- مقهى المثلث بالجيزة أيضا، وقد انتقل إليه رواد مقهى عبدالله، ثم التحق بهم يوسف إدريس، والروائي فتحي غانم، ومحمود السعدني، والناقد الصحفي رجاء النقاش.
- مقهى ريش، ويقع في شارع طلعت حرب وسط العاصمة، وكان هذا الشارع يعرف بشارع سليمان باشا، وكان يجلس فيه الشاعر والمسرحي نجيب سرور، والشاعر الشعبي صاحب الهجاء السياسي الذائع أحمد فؤاد نجم وزميله الشيخ إمام، وأمل دنقل، وأحمد عبد المعطي حجازي، والناقد محمود أمين العالم، ويوسف إدريس.ومن الواضح أن زبائن هذا المقهى هم أدباء اليسار المصري.
- مقهى زهرة البستان، في ميدان باب اللوق، ويؤثره أدباء الأقاليم مثل: الشاعر مُحَمَّد أبو دومة، والشاعر مُحَمَّد عفيفي مطر.
- مقهى وادي النيل: بميدان التحرير،وهو المفضل عند أبناء النوبة،والسودان.

- وفي الإسكندرية: مقهى تيمور بحي الشاطبي، ومقهى سان استفانو.
- وفي دمنهور: مقهى المسيري.
- وفي كفر الشيخ: مقهى السنديون(٥٤).

وهنا أذكر أنني لقيت الناقد أنور المعداوي – في السنوات الأخيرة من حياته – بمقهى أنديانا بالدقي، وكان الناقد الدكتور القط وعدد من الأدباء الشبان والإذاعيين يفضلون انديانا أوائل الستينيات. وفي السنوات الأخيرة من حياة الدكتور القط كان يجتمع بمريديه في مقهى غرناطة، الملحق بسينما غرناطة قرب ميدان روكسي(مصر الجديدة)، فلما توفي القط ترأس الدكتور مُحَمَّد عبد المطلب هذه المجموعة، وانتقل بمجلسه إلى مقهى " أنفتريون " قريبا من روكسي أيضا.

نرى أن نستكمل قوائم مقاهي الأدباء كما أوردها كتاب رشيد الذوادي متعقبا مواقعها في مختلف العواصم والمدن العربية، لما نراه من أهمية باعتبارها أماكن إشعاع ومؤشرات على حيوية الثقافة وتنوع التوجهات الثقافية وما لهذا من دلالة على التطور الاجتماعي ورسوخ تقاليد بعينها، وإذا راجعنا مقاهي القاهرة – وهي الأكثر غزارة وتنوعا – فإنها مجالس الطبقة الوسطى عند أول وجودها في العصر العثماني (أي بعد ١٥١٧م) ولكنها ما لبثت أن تعددت مستوياتها حتى كان من جلاسها الإمام مُحَمَّد عبده، وأمير الشعراء شوقي، ومُحَمَّد حسين هيكل باشا، والشيخ مُحَمَّد متولي الشعراوي.وهنا يمكن أن نشير إلى:

أن مجلس المقهى – بوجه عام – هو المكان البديل المناسب للقاء

الأصدقاء والمريدين خارج البيوت التي قد يزعجها أو لا تتسع لمثل هذه اللقاءات. وأن المقاهي (الثقافية) تأخذ سمت من يترددون عليها، كما رأينا في قصد المفكرين اليساريين (الاشتراكيين) لمقهى بعينه، وإقبال أدباء الأقاليم، أو أهل النوبة على مقهى آخر. وقد عرف بعض الأدباء بإقبالهم على عدة مقاه حسب طبيعة نشاطهم (ونجيب محفوظ هو الأكثر تأكيدا لهذا النمط)، كما أن إيثار مقهى بعينه قد يعتمد على اختيار شخصية مؤثرة لهذا المقهى فيتجمع حوله مريدوه، وليس ما يمنع أن يستبدل مقهى جديد بالمقهى القديم فتنتقل "الشلة" بجملتها.. وهكذا. وعلى الإجمال فإن مقاهي الأدباء هي التطور الشعبي لفكرة الصالون المنزلي، ولكن المقهى لا يؤدي وظيفة الصالون ولا يغني عنه، فالمقهى مكان مفتوح يصعب ضبطه واستقطابه، كما يصعب حصر الحوار فيه وتنظيمه، كما أن" ملكيته" على المشاع، فكل مشارك في الجلسة جاء بإرادته، ويمكنه أن يعرض عما يدور من حديث، وهو في النهاية يدفع ثمن المشروب، ويغادر المكان حين يرغب، ولكل هذا تصبح فرص التعارف الشخصي في المقهى أقوى من فرص التثقيف ونشر المعرفة، وهذه ليست وظيفة هينة على أية حال.

ونمضي مع خارطة مقاهي الأدباء في سورية، وقد اقترن المقهى فيها بالحكواتي، وهو يقابل الشاعر الشعبي أو شاعر الربابة في مصر، وكان – قبل الراديو – يتصدر المقهى، ويجلس على " تخت " ليقص على الرواد سيرة أبي زيد الهلالي، وما يشاكلها. وقد عرفت دمشق من مقاهي الأدباء: مقهى السروجي، ومقهى الشاغور، ومقهى النوفرة، ويقع في سوق الحميدية الشعبي، ومقهى الكمال وكان يقصده الشاعر أحمد الصافي النجفي حين

يزور الشام قادما من بغداد، ومقهى البرازيل، ومن المؤسف أن العمران اكتسحه فيما اكتسح، وكان يقصده أعلام أدباء الشام الذين نقرأ لهم: بديع حقي، وسامي الدروبي (الذي ترجم روايات دستويفسكي في أدق صيغة) والروائي عبد السلام العجيلي، والناقد المؤرخ شاكر مصطفى، والأديب عبد الغني العطري، وغيرهم.

وهناك أيضا مقهى الهافانا، بمنطقة فكتوريا وسط دمشق، ومقهى الهوفر ويقبل عليه الفنانون التشكيليون (الرسامون)، ومقهى المهاجرين، ويقصده سعيد الأفغاني، وعمر رضا كحالة، وهما من رعاة التراث.

وفي المدن: حلب، وحماة، وحمص، واللاذقية مقاه محددة مرغوبة من المثقفين[٥٥].

وتلحق لبنان بسورية، وإن كانت تسبق سورية إلى تكوين الجمعيات الأدبية والثقافية منذ منتصف القرن التاسع عشر، وكذلك عرفت بيروت: مقهى محلة الزيتونة، على شاطئ البحر (المتوسط) وكان يقصده كبار أدباء لبنان: الشاعر بشارة الخوري، والشاعر شبلي الملاط، والمثقفون: أمين الريحاني، وأمين تقي الدين، وجميل معلوف.

أما مقهى النجار ويقع في ساحة البرج بوسط بيروت (وتسمى الآن ساحة الشهداء) فكان من قصاده الشعراء: بشارة الخوري وأمين نخلة وإلياس أبو شبكة، والأديب خليل تقي الدين.

أما مقهى فيصل (وهو من المقاهي الحديثة) ويقع على البحر في منطقة رأس بيروت فيقصده أساتذة الجامعة الأمريكية، وشعراء الحداثة من

أمثال: خليل الحاوي، ومُحَمَّد الماغوط، وميشال أبو جودة[٥٦].

ومن الطبيعي أن تعرف بغداد – وهي صاحبة ميراث عظيم في مجالس العلم ومجالس الترفيه على السواء – هذا النوع من المقاهي، مثل مقهى الجسر القديم، ويقع بين حيين: الأعظمية والكاظمية، وكان يتصدره الشاعر معروف الرصافي بين مريديه، ومقهى البيروتي، وكان يطل من جانب الكرخ على شاطئ دجلة، ويقصده الراسخون في الأدب القديم، الرافضون لأشكال الحداثة. ومن أهم مقاهي الأدباء في بغداد: مقهى الرشيد، ويقع في شارع الرشيد (وهو أهم شارع تجاري يشق العاصمة العراقية، شبيه بشارع الموسكي في القاهرة) وقد تأسس هذا المقهى عام ١٩٤٠ وكان المحل المختار لمجلس الشعراء: مُحَمَّد مهدي الجواهري، وبلند الحيدري، وبدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، وحميد سعيد.

وهناك مقاه أخرى أقل أهمية[٥٧].

وختاما: ليس شرطا أن تتكاثر مقاهي الأدباء في كل عاصمة، فهناك البدائل من المجالس والصالونات على نحو ما رأينا، ويمكن اختصار الأمر بالقول إنه – تقريبا – ما من عاصمة عربية إلاّ وبها مقهى (على الأقل) يؤثره الأدباء ويقبلون عليه، مثل قهوة الفيشاوي في مدينة جده[٥٨]، ومقهى خوري في مدخل واحة معان بين عمان والعقبة[٥٩]، وفي إشارة إجمالية تحدد مدينة أم درمان موطنا لمقاهي المثقفين في العاصمة السودانية المثلثة[٦٠].

أما تونس (العاصمة) فأشهر مقاهيها الثقافية: نادي وليام مرسي،

ومنتدى خميس القبائلي، ومنتدى بكار العنابي، ومنتدى العربي الكبادي، ومنتدى الخلدونية، ومنتدى الرشيدية، ومنتدى القصة.[٦١]

٧- صـورتان للصــالون

أ) صورة وصفية :

الصالون الذي نعنيه هنا صالون العقاد دون غيره، وهو الصالون الأكثر شهرة وتحكما في وصف " الصالون " أو ما ينبغي أن تكون عليه صورته ورسالته في هذا العصر، وصالون العقاد[٦٢] هو المزاحم (التاريخي) لصالون ميّ، فإذا كان لها كمال الأنوثة ورقتها، فللعقاد جلال المفكر ونفاذ بصيرته. لقد كان العقاد من بين رواد صالون ميّ، ولعله تطلع فيها إلى جمال الشابة المتحررة، غير أنها كانت تلزمه مكانه بكرامة الثقافة وقوة الإرادة، فلم تعلق بها شائبة[٦٣]. وإذا قابلنا بين صالونين متعاقبين زمنيا سيكون الفرق واضحا في نوعية الرواد، وما يترتب على هذا من أسلوب الأداء. سنرتضي في هذه الفقرة بالصورة الوصفية التي رسمها الكاتب أنيس منصور في كتابه: " في صالون العقاد كانت لنا أيام "[٦٤] وهذا العنوان بقدر ما فيه من عناية بالعقاد وصالونه الشهير، سنجد فيه عناية موازية بأنيس منصور نفسه: بأطوار حياته، وصداقاته، وشطحات أفكاره، مع قدر من المبالغة الواضحة في مكانته في صالون العقاد، ومبالغة أخرى أكثر انكشافا فيما يمكن وصفه بأنه: ادعاءاته الأكاديمية[٦٥]. غير أننا نرى أن أنيس منصور قد وفى صالون العقاد حقه، وما زاد عن هذا فإنه اختص به نفسه، بالاستطراد في قضايا فلسفية، ونزعات سياسية، ذات طابع

استعراضي لم يكن صالون العقاد في حاجة إليها، ولا العقاد نفسه من باب أولى، ولكنه أنيس منصور حين يتطلع إلى منافسة " جلجامش " في أن يكون وحده: " الذي رأى ".

المكان والزمان محددان بدقة: المنزل رقم ١٣ من شارع سليم الأول بمنشية البكري (قريبا من ميدان روكسي – مصر الجديدة) في غرفة محدودة الاتساع من شقة صغيرة في الدور فوق الأرضي، والزمان ضحى يوم الجمعة من كل أسبوع حتى الثانية بعد الظهر(ينصرف الحريصون على الجمعة لأدائها في المسجد القريب ثم يعودون) ومع هذا "التواضع" في صورة المكان ما تكاد تجلس حتى تواتيك تحية أنت في حاجة إليها. (وهذا ما جرى معي مرتين في أسبوعين متتاليين (عام ١٩٦٢) ثم لم أستطع على طريقة العقاد في إدارة صالونه صبرا)[٦٦]. ولا يفوتني أن اعترف بتعجلي أو أنني كنت مستفزا لأسباب أخرى[٦٧]. وقد تطرق الكتاب الذي نحن بصدد رصد الصورة من خلال مدونته إلى تسجيل أسماء أهم الشخصيات التي تتردد على مجلس العقاد، وربما نص على درجة التردد أيضا: مُحَمَّد خليفة التونسي، وطاهر الجبلاوي، وصالح جودت، ومُحَمَّد سعيد العريان، وعبد الرحمن صدقي، وعلي أدهم، وصلاح طاهر، وإبراهيم ناجي، ومُحَمَّد مصطفى حمام، وسيد قطب، ومُحَمَّد حسن الشجاعي، وروحية القليني، كما ظهر عبد الرحمن شكري مرة واحدة، وعثمان أمين مرات قلائل. وأسماء أخرى غير قليلة لمستشرقين أوروبيين، ويهود مصريين، وغيرهم ممن لم يجد مناسبة أو ضرورة لذكرهم مع شدة تعلقهم بالعقاد حتى درجة الهوس، وأذكر من هذا الرعيل ثلاثة من زملاء كلية دار العلوم: عبد الحيّ

دياب(الناقد)،ومُحَمَّد سباق (التربوي)،والحساني حسن عبدالله (الشاعر). ومن رواد الصالون من طلاب الدراسات العليا في جامعة القاهرة، من السوريين: سامي الدروبي، وعبدالله عبد الدايم، وبديع الكسم، وعبد الكريم زهور، وقد أصبحوا أساتذة بجامعة دمشق فيما بعد.

ويلخص الكاتب تصوره لصالون العقاد في عبارة موجزة: " صالون العقاد قد امتلأ بالأحياء والأموات، وبالأموات أكثر من عباقرة الفلسفة الإنجليزية والأدب الإنجليزي، وبقية الآداب الأخرى، فقد كانت ثقافة الأستاذ إنجليزية، والإنجليزية هي لغته الوحيدة(٦٨) " وهذا التذييل للعبارة لا يخلو من غمز وتفاخر، إذ لا يفتأ أنيس منصور أن يتباهى عبر كتابه بما يعرف من لغات. ويقول عن العقاد متخابثا: " وكانت له طريقة لطيفة في نطق الكلمات الفرنسية، فهو لا يعرف كيف ينطقها. وكنت لا أجد في ذلك عيبا، فالأجانب لا يعرفون كيف ينطقون لغتنا، وكانت الكلمات الفرنسية التي يعرفها الأستاذ سليمة النطق صحيحة البناء، وكان حريصا جدا على أن يكون دقيقا في كل شيء(٦٩) " ومن طريف ما يضيف في وصف المحتوى المعرفي لصالون العقاد قوله: " امتلأ صالون العقاد بكثير من الحيوانات أيضا، فهو يجد متعة في أن يقارن بين الحيوانات وبين تلامذته أو أصدقائه الكبار، فكل واحد منهم قد وجد له شبها بالحيوانات، ووجد لنفسه أيضا. هل كان يصف نفسه بأنه الزرافة ذات العنق طويل؟! إن المذكرات القليلة التي كتبها واحتفظت بها منذ ذلك الوقت لا تجيب عن هذا السؤال، ولكن: أصبح صالون العقاد حديقة حيوان العقاد(٧٠) "!! ومن أوفى العبارات في وصف صالون العقاد، كما يراه أنيس منصور، وإن

اتسمت الصورة بطبائع أنيس منصور أكثر مما هي موحية بطبائع العقاد. يقول: " لابد أن أشعر بالقرف لو جلست مكانه، أما سبب قرفي فهو أن أظل أتحدث وحدي، لا حوار، لا أحد يسألني، لا أحد يقول لي شيئا، وأظل أتحدث حتى لا أشعر بالوحدة أو العزلة أو الغربة. ولكن من المؤكد انه يجد متعة في الكلام، بقدر ما يجد متعة في الاستماع. وكثيرا ما أحسّ الأستاذ أن صمتنا هو عظيم الاحترام لكلامه، وأنه إذا كان الفم الوحيد فقد كنا آذانه العشرين، ولم نكن هكذا موتى، إنما كنا أحياء ندخر هذا الكنز الفكري في أعمق أعماقنا، ثم نروح ننشره!! أكانت أحاديثه جلسات لتحضير الأرواح؟ نعم، كانت شيئا كذلك، فهو يقلب كتاب الموتى من العظماء، صفحة، ونكتة، وحكمة.. ثم يعيد ترتيب هذه الصفحات، ويدور بنا، وتدور معه رءوسنا، وتمتلئ الغرفة الضيقة بالقديم والجديد، والحي والميت، والحيوانات والضحكات.. أكان صالونا مصطنعا للآلهة التي تحدثت عنها أساطير الإغريق؟ كان كذلك. وكان الأستاذ يقوم بدور الإله فولكان، أي البركان – الذي يشعل النار ويضع فيها الحديد، ويلين له الحديد سكاكين وسيوفا وسهاما ورماحا، وكان يسلحنا العقاد بكل ذلك، ثم يطلب إلينا أن نمضي في الحياة. ولا أظن أنني امتشقت سيفي وخرجت من صالون العقاد أرهب الناس، إنما كنت أحس دائما أن صالون العقاد هو ثلاث غرف متداخلة، بعضها في بعض، إنها: النار والمطهر والجنة، التي وصفها لنا الشاعر الإيطالي دانتي الليجيري، فنحن نتقلب معه على النار، ولكنه لا يحترق، ونتمرغ معه على المسامير، ولكنه هو وحده الذي لا تنفذ المسامير على جلده، حتى يتم تطهير النفس والعقل، وأخيرا نطير معه إلى

جنات الفلسفة والفن تجري من تحتها أنهار الإعجاب والمتعة المؤكدة[٧١] ".
غير أننا نرى أن العبارة الرائعة حقا، التي تقارب أن تستجمع خصوصية العقاد وجوهر معارفه نجدها في قول أنيس منصور: " ولكن أخطر هذه الأيام وأعمقها هو يوم نلتقي الأستاذ في ندوته، حيث الجمال والجلال معا: جمال العبارة وجلال الفكر. حيث الله والحب والخير والجمال في عبارة واحدة، وفي حكاية واحدة، ويقوم الأستاذ بوضع الحدود بين المعاني، الحدود الحريرية، والفواصل الحديدية، فتلك مقدرته الفذة التي لم نجد لها نظيرا عند أحد من الذين نجلس إليهم أو نستمع إلى محاضراتهم[٧٢] ".

يمكن أن نحدد الهدف في هذه الفقرة عن صالون العقاد، وأنه ينحصر في شكل (صورة) الصالون وأسلوب عمله بما يميزه عن صالونات أخرى، وليس رأي أنيس منصور فيه وطرائف مرئياته، وإن كان لبعض هذه الطرائف دلالة على ملمح خاص في هذا الصالون وصاحبه، كأن يستبيح العقاد لنفسه أن يتهكم بطه حسين تهكما جارحا لا يليق بمفكر كبير، في مجلس عام، دون أن يستدرك أو يعتذر. من الواضح أن " الهزل " كان مأذونا به في الصالون، وطبيعي أن يكون العقاد هو الهازل الوحيد، في حين يكتفي رواد الصالون – أو من يجد الجرأة منهم – بالمجاراة وإظهار الاستحسان، فلعلنا نشعر بالصدمة وهبوط مستوى الأداء حين يقول العقاد عن طه حسين: " يسمونه عميد الأدب، إنه ليس عميد الأدب، إنه عمي الأدب"[٧٣]!! وكان لا يفتأ يلقبه الشيخ طه!!

وكما يذكر أنيس أن العقاد كان المتحدث الرئيسي في صالونه، وأنه نادرا ما منح فرصة الكلام لآخر مهما كان حجمه الفكري، فإنه يذكر

بعض الاستثناءات لهذا المبدأ، وكذلك كانت الموضوعات تطرح في الصالون دون إعداد مسبق، أو تمهيد أو ربط، وإنما هو الاستطراد وقدرة العقاد على التنقل بين الموضوعات المختلفة، ومهارته في إيجاد صلات بينها مهما تباعدت أو تنافرت، ويسجل استثناء لهذا أيضا. من المرات النادرة أن استلم الدكتور عثمان أمين زمام الحديث عن ميّ وصالونها والطامحين إلى نيل اهتمامها، وأطال الحديث دون أن يقاطعه أو يرده العقاد، وهذا عكس ما حدثني به الدكتور مُحَمَّد غنيمي هلال حين أبدى رغبته في التحفظ على قول ردده العقاد عن مفكر فرنسي[٧٤]. ولعل الأمر يتعلق بمحتوى الكلام، ومكان العقاد فيه، ولا شك أن للعقاد علاقة قوية بميّ وصالونها، وله فيها شعر كثير أورده أنيس منصور في كتابه. وأما عن الأمر الآخر، فإنه إذا لم يكن لصالون العقاد برنامج معد لموسم أو حتى لجلسة واحدة، فإنه كثيرا ما كان العقاد نفسه وفكره وشعره موضوعا للصالون، بل كانت صحته ومرضه وعبقريته أو عبقرياته موضوعا لعديد من ليالي الصالون.

سجل أنيس منصور أسماء بعض الأوانس والسيدات اللاتي ترددن على صالون العقاد، في مقدمتهن الشاعرة روحية القليني[٧٥]، وسنية قراعة، ومن تدعى الدكتورة إجلال، والمطربة نادرة، ومن يرمز لها بالحرف (م) ولعل الرمز يذهب إلى الممثلة مديحة يسري، كما أشار إلى سيدة كانت تتردد عليه كمديرة لبيته، وذكر أنها أنجبت من العقاد فتاة بلغت زهرة الصبا، وكانت تعرف أنه أبوها وإن لم تنسب إليه، وقد انتحرت هذه الفتاة يوم وفاة العقاد!![٧٦].

لقد حرص أنيس منصور على أن تتسع لوحة صالون العقاد لتشمل

علاقة العقاد برجال عصره ورأيه فيهم، وفي مقدمتهم طه حسين، وتوفيق الحكيم، وأمين الخولي، ومُحَمَّد مندور، وعثمان أمين، وعبد الرحمن بدوي الذي انفرد بأن هجا العقاد في حضرة طه حسين[٧٧]، ولكننا لا نتوقف عند هذه العلاقات (الشخصية) لضعف تأثيرها في الصالون، أما العناوين التي تصدرت فصولا عن الصالون، فمن أهمها ما كتب تحت عنوان: "أطول يوم في صالون العقاد" و "جمهور الصالون" و "توقف الصالون". أما أطول يوم في صالون العقاد – وقد أطلق عليه رواد الصالون: يوم القيامة، فلأنه في ذلك اليوم أبدى العقاد استهانة بالمرأة، وبأنها لا تفهم الرجل سواء كان أباها أو زوجها أو صديقها أو ابنها، وضرب أمثلة لهذا النقص في الإدراك النسوي وكأنه خلقة وطبيعة، ولكن رواد الصالون عارضوه في هذا، واستشهدوا بأبيات من شعره نكأت جراحا نفسية وهزائم عاطفية قديمة، وظهر هذا جليا على العقاد حتى تكشف لتلاميذه أن هذا الأستاذ العملاق أكثر حساسية، وأقل قدرة على إخفاء ما يضايقه، وأن الكثير من فشله وخيبة أمله ومرارته لا يقوى على إخماد ناره وشراره، وأن الأفضل لهؤلاء المريدين أن يتركوا شيخهم يتحدث، فهو سيد الحديث، ولكنه ليس سيد الحوار[٧٨]. ويحدد أنيس منصور الطابع الغالب على مريدي العقاد، رواد صالونه، فيقول: " لم يكن بيننا ضابط أو مهندس أو طبيب أو وكيل نيابة، أو قاض، أو تاجر، أو أجنبي، إنما نحن جميعا ندرس الأدب والفلسفة والشريعة الإسلامية[٧٩] ". وهذا وصف بالأعم، وليس بالاستغراق (حتى مع تصدر أداة القصر: إنما) وفي الصفحات السابقة ما ينافي هذا، فقد أطال في ذكر اللواء شوقي عبد الرحمن وتردده على الصالون

(ص١٤٢) وأفاض في محاورته للعقاد في شؤون الحرب والصراعات العالمية. وفي عبارات تجمع بين الأسى الرومانسي وشجاعة الاعتراف بالواقع، بالتغيير، بضرورة التطور، يكشف أنيس منصور كيف بدأ " صالون العقاد " يتراجع ويفقد زهوه. ربما بدأ خط التراجع بإعلان فوز العقاد بجائزة الدولة التقديرية في الآداب (عام ١٩٥٩ م) إذ لم يكن العقاد مواليا أو راضيا عن حكم جمال عبد الناصر فضلا عن أن يكون معجبا به، وكان لا مناص من أن يلقي العقاد كلمة الفائزين بجوائز الدولة في حفل يحضره عبد الناصر، وقد كتب العقاد كلمته خالية من إطراء الرئيس تماما (كتبها من منظور علمي عن التطور وقيمة التقدم) وقد تحايل تلاميذ العقاد على ألا تبدو كلمته على خلاف المألوف، ونصحه بعض تلاميذه بإلغاء اجتماعات يوم الجمعة، وربما اتفق الرواد على عدم الحضور دون أن يخبروا العقاد باتفاقهم إشفاقا عليه وتجنبا لغضبه وعناده. كما يشير الكاتب إلى أنه — هو بذاته — بدأ ينقطع عن حضور الصالون، مع عدد كبير من رواده، مستبدلين به الذهاب إلى مجالس أساتذتهم في الجامعة: الدكتور شوقي ضيف، والدكتور مُحَمَّد عبد الهادي أبو ريدة، والدكتور عبد الوهاب عزام، كما ذهبوا إلى الأب قنواتي في دير الدومنيكان وفيه مكتبة لا نظير لها في مصر.

وهكذا بدأ مرحلة الانطفاء، التي حسمها مرض العقاد.. وتحولت مباهج الفكر في الصالون إلى مواساة العملاق الذي يقاوم ما لا يمكن أن يقاوم.

ب) صورة سردية :

يتكرر ذكر الصالون في رواية " المرايا " التي كتبها نجيب محفوظ عام ١٩٧٢، وحين قرأتها للمرة الأولى عقب صدورها لم يرقني تعاقب الشخصيات فيها إذ تبدو الرابطة بين الشخصيات مفتقدة أو هشة، ولولا أن الراوي هو الشخص نفسه لما كان للمرايا من قيمة، ذلك الحين اعتبرت هذا التعاقب هروبا من مواجهة أهم عناصر الرواية، وهو بناؤها الفني،من ثم كتبت دراسة مختصرة تحت عنوان:"كناسة الدكان في مرايا الزمان"(٨٠)، وربما تعلق جانب الإعجاب (الوحيد) بهذه الرواية بمهارة الكاتب في ترتيب الشخصيات وهي كثيرة العدد (٥٥ شخصية، من بينها ١٣ امرأة) تعاقبت أسماؤها حسب حروف الهجاء دون أن تختلط عليه الوقائع أو تضطرب النِّسب، أو تتصادم الصلات، وهذا النمط من تشكيل المادة الروائية عاد محفوظ إلى استخدامه في روايته الفريدة "حديث الصباح والمساء" (١٩٨٧) وبناؤها أشد صرامة في رسم علاقات أفرادها إذ ينتسبون – على كثرتهم – لأسرتين بينهما مصاهرات.. إلخ. ولكن معاودة القراءة لمرايا محفوظ ما لبثت أن كشفت عن رمزية الدكتور ماهر عبد الكريم، وقيمة صالونه التي أكسبته " المرايا " ميزة كبيرة، إذ يتخذ الدكتور موقع " المعيار " الذي يحتكم إليه في الحكم على الأفراد والأحداث، كما أن صالونه يأخذ مكان الشارة والقيمة، وسنرى في عرض جانب من الشخصيات والأحداث – بقدر ما تأذن السطور – أن هذا الصالون لم تعلق به نقيصة، ولم تدخله شخصية مريبة، مثلما حدث في صالونات ومجالس أخرى في الرواية ذاتها. لقد فاز الدكتور ماهر عبد الكريم بفقرة من عدة صفحات

شأن غيره من الشخصيات، وكان لابد أن يخضع لجبرية الترتيب الهجائي للحروف، فينتظر حرف الميم، كما خضع لجبريات زمانه فتقبل انعكاسات أحداث قاسية لم تخرجه عن دماثة طباعه ونقاء حضوره واتزان أحكامه. ففي ست صفحات من القطع الصغير (ص ٢٨٢ – ٢٨٨) تولّى " الراوي " تعريف هذه الشخصية من كافة الجوانب: المظهر، والخلق السمح، والأسرة العريقة، والانتماء الوطني، والثروة المتاحة لأصحاب الحاجات، " وكان قصره القديم بالمنيرة ملتقى أهل العلم والأدب والفكر، وبه متسع دائما لطلبته، فيقدمهم إلى الكبار، ويعاملهم معاملة الأنداد، وما أكثر الذين عرفتهم في صالونه من رجال الفكر. وكان التيار الجارف في أحاديث الصالون ثقافيا بالمعنى العام، ولم تكن السياسة لتخالطه إلاّ في ظروف نادرة[٨١] " هذه صورة صالون ماهر عبد الكريم في " المرايا "، ولا يخطئ الدال طريقه إلى المدلول في اختيار الاسم (ماهر + عبد الكريم) وهذا الرابط كان دائما موضع اعتبار في روايات نجيب محفوظ[٨٢]. ومع ترادف ذكر مآثره من أصدقائه وتلاميذه لم يخل الأمر من انتقاصه ولو بسوء التأويل، كأن يقال " إنه وجيه نبيل، مملوك من نسل مماليك!" و " قد با ع قصره القديم بالمنيرة، واشترى ڤيللا جميلة بمصر الجديدة ما زالت حتى اليوم تستقبل أهل الفكر والرأي " وواصل عمله الجامعي بنفس الهمة حتى أحيل إلى المعاش عام ١٩٥٤..[٨٣] " إلخ. وعندما صدرت قوانين تحديد الملكية الزراعية فانتزعت منه عشرة آلاف فدان، فإنه ظل ثابتا في وقاره، متصالحا مع نفسه، ويقول عنه تلميذه راوية السرد: " لم استشعر في حديثه أو سلوكه أي أثر لمرارة[٨٤] ". حين نربط بين هذه الجوانب (العلمية

والعملية والنفسية) فإننا سنجد صورة التكامل والاعتدال وقوة الروح واستقامة الفكر، من ثم سيكون " الصالون " الذي ظل واجهة لحياته مستقرا على أركانه في صورته الراقية من حيث هو " مكان " لكل عمل أو فكر شريف، وهذا ما تؤكده علاقات الأشخاص في الرواية، كما سنرى.

وقد كتبت المستشرقة السوفييتية " فالنتينا تشيرنوفسكايا " فصلا ممتعا عن رواية " المرايا " خاصة[٨٥]، ولنا أن نتوقع – وهذا التوقع صحيح – أن الباحثة الروسية، وإن كنا لا نعرف زمن إجراء دراستها – سيتجه اهتمامها إلى اختلاف طبائع ثلاثة أجيال من المثقفين (ما بين ١٩٢٠، و١٩٧٠) صنعت أحداث الرواية على امتدادها، وبخاصة ما انعكس على حياتها النفسية والسلوكية من التحولات الاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما يتفق والنظرية الماركسية في الأدب، وتلاحظ الباحثة أن الشخصيات الخمسًا والخمسين لهم ارتباط ما بالثقافة (مدرس، موظف، محامي، أديب، مهندس، صحفي، ضابط.. وغيرهم) ومن ثم أمكن أن يتشكلوا في مجموعات؛ يعرفون بعضهم البعض، ويترددون على نفس المقاهي والصالونات[٨٦]، وطبيعي أن تفطن المستشرقة إلى شخص ماهر عبد الكريم، ولكنها غفلت عن الإضاءة الخاصة التي يشعها صالونه، دون صالون آخر لم يكن له هذا الحضور الراقي –كما سنرى. لقد امتدحت – تبعا للراوية – اتزان شخصية ماهر عبد الكريم بلا تحفظ، دون إشارة إلى صالونه الأطول عمراً والأقوى أثرا من صالون آخر يقيمه جاد أبو العلا – وهو كاتب روائي تحيط بأدبه شبهات الاستعانة بأقلام وأفكار الآخرين، فضلا عن استجلاب كتابات " النقاد ". إن ما أثار انتباه الباحثة الروسية إلى صالون جاد أبو العلا أنه كان يتخذه

ملتقى بالمثقفين الذين يستعين بهم على تقويم محاولاته الأدبية محدودة القيمة، كما أن جاد أبو العلا كان وارثا لثروة كبيرة لأب من تجار التحف في خان الخليلي، وإن انتقال " جاد " من طبقة أثرياء التجار إلى " طبقة " المثقفين قد أحدث في نفسه نوعا من انقسام الشخصية كان مصدر معاناة له[٨٧]. من ثم يكون من حقنا أن نفسر السلب بالإيجاب، وكأن صالون جاد أبو العلا لفت الاهتمام لأنه " نشاز " في موقعه ومنحرف عن أداء وظيفته، بعكس صالون ماهر عبد الكريم الذي تحرسه قيم الثقافة وأخلاق صاحبه الواضحة والسليمة. تلخص المستشرقة شخصية الدكتور ماهر عبد الكريم، وكأنها ترسم معالم صالونه، إذ كان " يرى أن نشر التعليم يحقق العدالة الاجتماعية ".. وأنه " لم يجاوز القصد أبدا ".. " إن ابتعاده عن الصراع يصل به إلى حد أن يواجه ثورة يوليو التي اقتلعت طبقته بأن يقنع نفسه بها فلسفيا!. إن ماهر عبد الكريم ممثل واضح المعالم لقطاع من الانتلجنسيا التي اتخذت موقف اللاحزبية والترفع –كأنما بالعلم والثقافة – عن التاريخ والصراع الاجتماعي[٨٨] ".

هنا أكاد استحضر صورة صالون " ميّ زيادة "، وهو سابق زمنيا على الصالون (المتخيل) لماهر عبد الكريم، ولا نستبعد أنه رآه وتأثر به (نجيب نفسه أو جاد عبد الكريم، وهما متفقان عمرا تقريبا) فقد اتسع صالون ميّ للإنتلجنسيا في عصرها على اختلاف توجهاتهم، وكانت تديره بدماثة وذكاء مشهود به لها، وأنه ربما جمع بين متخاصمين أو متنافسين، ولكنهم – في حضرة ميّ – لا يجرؤون على إعلان الشقاق أو الإيحاء به.

حين نقلب صفحات الرواية، ونشحذ انتباهنا في اتجاه ما يتصل بصالون الدكتور ماهر عبد الكريم، و " نقرأ " هذا الصالون قراءة خاصة

ترصد كل ما يتصل به، على أننا سنظل نتذكر أن " المرايا " مسندة إلى " راوية " – هو أحد تلاميذ الدكتور وخلصائه، وأحد أركان الصالون كذلك، ونعرف أنه – من الوجهة الفنية – حين يقدم شخصيات الرواية وأحداثها بأسلوب الراوية / المتكلم / المشارك فإنه لا مجال للتوسع في ذكر أحداث لم يكن هذا الراوية طرفا فيها، ولا التعريف بشخصية إلا أن تكون من الدائرة القريبة منه، أو له بها علاقة ما. وهذا التصور (الفني) في صالح ماهر عبد الكريم، إذ هو أكثر الشخصيات ذكرا، وصالونه أوضح الأماكن تأثيرا، بصفاته المستخلصة، وهذا ما يمكن استنتاجه من التعرف على تفاصيل الرواية.

عندما يعرض الراوي للشخصية الأولى (وهو حسب الترتيب الهجائي للشخصيات: إبراهيم عقل) وقد نسبت إليه أقوال ظالمة جعلته يهتز من جذوره، تصدى للدفاع عنه صديقه وزميله في هيئة التدريس الدكتور ماهر عبد الكريم – لإخماد الفتنة واسترضاء مؤججيها[٨٩]. وفي سياق " تشريح " شخصية إبراهيم عقل نعرف شغفه بالتغني بالمثل العليا، ثم وثوبه على منصب جامعي أطاح فيه بكل المثل العليا، من ثم راح يتجنب صالون زميله، فلما فقد ابنيه الوحيدين في وباء الكوليرا (١٩٤٧) ذهب إليه ماهر عبد الكريم معزيا، وكان شديد الحدب عليه رغم انهياره ودروشته " وكان ماهر عبد الكريم يفنّد كل حجة يأنس منها هجوما ولو من بعيد على مسلك صديقه القديم[٩٠].

وحين نصل إلى المرآة الثامنة سيحدثنا الراوية عن جاد أبو العلا[٩١]، مبتدئا التعريف به بأنه: " هو موجود وهو غير موجود "، وقد أنشأ صالونه

متأخرا، عام ١٩٦٨ أو بعد ذلك، وهو: فكرا ونفسا وسلوكا النقيض لمكونات شخصية ماهر عبد الكريم، وكان ابتداء المعرفة بما في جاد أبو العلا من زيف وادعاء عبر حديث عابر جرى في صالون ماهر عبد الكريم. وفي سياق معرفتنا بهذه الشخصية نعرف بوجود " مجلس الأستاذ سالم جبر "، الذي يضنّ عليه الراوية بوصف " الصالون " اكتفاءً بأنه " مجلس ".

قد لا نجد مساحة تتيح لنا أن نتعقب جميع مناسبات ورود صالون ماهر عبد الكريم، في مقابل صالون جاد أبو العلا أو مجلس سالم جبر، ولكن يمكننا أن نجتزئ قضايا وسياقات ومواقف تدل على امتياز صالون ماهر عبد الكريم ودوره الرفيع في تقويم مجتمع المثقفين. فقد ذكر الراوي أنه التقى بزوجة ذات طفلين تدعى درية سالم، وأنها عرفته أن زوجها في بعثة قصيرة، خارج الوطن، فتحولت إلى عشيقة، ومضت مدة غير طويلة وعاد الزوج – صادق عبد الحميد – من بعثته، وحدث أن تلاقى الزوج والعشيق في صالون جاد أبو العلا. وهنا نلاحظ أمرين: أن الراوي (العاشق) حين التقى بالزوج حدث بينهما تقارب ومودّة، وعرف الزوج مقدار الثقة بين الراوي والدكتور ماهر عبد الكريم، فتمنى عليه أن يصطحبه إلى صالونه، ولكنه الراوي/ العشيق راح يراوغ ويتهرب، حتى شعر بان نفسه (الراوي) برئت تماما من آثار العشق القديم، (وكأنما قضى مرحلة تطهر) فاصطحبه وقدمه إلى رواد صالون ماهر عبد الكريم!!

وفي التعريف بزهير كامل نعرف أن ماهر عبد الكريم أثنى عليه، وكان زهير يتردد على صالونه، وأن هذا التردد كان سببا في صداقته للراوي، ولكن زهير كامل ترشح نائبا عن حزب الوفد سنة ١٩٥٠ فاستحق أسف

الدكتور ماهر (الذي لم يعرف التحزب لغير الوطن)، وانقطع زهير عن الصالون، ونجح في الانتخابات، وبعدها تحول سمسار وظائف. وفي مرحلة السقوط هذه جرى بشأنه حوار بين رفقاء مجلس الأستاذ سالم جبر، وستكون المقارنة طريفة ومثيرة حين نضع ما يمكن أن يقال عن شخص ما في مجلس سالم جبر، في مقابل ما يمكن أن يقال عن الشخص نفسه، أو غيره في صالون ماهر عبد الكريم. لقد كان غاية ما يقال عن زهير كامل هو ما نطق به الدكتور ماهر نفسه عندما علم بترشحه وفديا: " إنه قرار يستحق الأسف "[٩٢] أما في مجلس سالم جبر فقد ابتدأ بنفسه المهاترة بقوله: " ما هذا الذي يحدث بالوطن؟ الملك جن، وكل شيء ينهار.."[٩٣] إلخ. وبالمثل نجد عجلان ثابت، الذي تحول إلى قواد وما هو أسوأ من ذلك، يقول عنه الراوي: " ولشد ما تألمت عندما لم أجد من أستاذي الدكتور ماهر عبد الكريم استعدادا للترحيب به في صالونه، فقال بهدوئه المعروف: يقال إنه شخص..

وابتسم ابتسامة استغنى بها عن تسجيل وصف لا يرتاح إليه ذوقه الرفيع[٩٤] " وتتأكد قصدية الراوي في تنزيه صالون ماهر عبد الكريم عن السلوكيات المشبوهة أو أن يكون " المكان " ضالعا في تأسيس تلك السلوكيات. عندما يعرض لشخصية الفنانة التشيكلية عزيزة عبده، يبدأ التعريف بها هكذا: " عندما قدمني لها الدكتور زهير كامل في صالونه لم أكن أسمع باسمها لأول مرة، لعلي اطلعت عليه في مجلة أو جريدة، كانت بصحبة زوجها، سمراء أنيقة القسمات خفيفة الروح، قدرت عمرها بالثلاثين، وقال جاد أبو العلا إنها في الأربعين "[٩٥]، وإذ كان الراوي في

زيارة صديقه يوسف بدران بشقته بالقصر العيني، وجدها تخرج من غرفة نومه، وقد ارتدت إحدى بيچاماته. وعندما التقى بها فيما بعد – في صالون جاد أبو العلا التقيا كصديقين بينهما ألفة وثقة[٩٦].

لقد شغل الصالون مساحة مؤثرة، وظهر في مستويات مختلفة، وكان المحدد للمستوى هو صاحب الصالون الذي يمثل الدفة والشراع معا، في التوجيه وحفظ التوازن. وإذا كان المكان هو الشاغل وموضع اهتمام نقاد الرواية فما أجدر هذه " المرايا " النادرة بأن تضع بين أيدينا صورة مكان لا يتكرر.

٨- الغائب الحاضر

(صالون طه حسين)

حين نتمسك بشروط الصالون التي ذكرنا في صدر هذه الدراسة فإن اسم طه حسين لن يجد له مكانا بين رعاة الصالونات الثقافية بالقاهرة، وربنا أشار بعض المترددين على مجلس العميد إلى نوع من الزيارة الدورية أو ما يشبه هذا، ولكن " الصالون " له وضع آخر، وليس صعبا – فيما نحسب – أن نستحضر الأسباب التي (لعلها) كانت تصرف طه حسين عن عقد اجتماع دوري في بيته، أو في بعض المواقع التي شغل فيها مكان الصدارة زمنا ليس بالقصير، مثل المجمع اللغوي، أو وزارة المعارف من قبله، أو جامعة القاهرة من قبلهما، ومن المؤكد أن هذه المواقع (وغيرها) كانت تكتسب قيمة أعلى إذا ما اتخذها عميد الأدب مكانا مختارا للقاء

مريديه.. وما أكثرهم، في مصر، وفي أقطار الوطن العربي على اتساعه.

ما الذي يمكن أن يكون قد حال بين العميد وإقامة مثل هذا المحفل الأدبي، ولو مرة كل شهر!!

لا أستبعد الشعور (الأرستوقراطي) المترفع عن العامية والعامة المستقر في أعماق طه حسين بتأثير ثقافته الفرنسية، وزواجه من غير بنات وطنه، وأنه كان دائما محاطا بكبار الشخصيات المصرية تصادقه وتودّه وتزوره في بيته وفي مكتبه وهنا تنعدم حاجته إلى الشعور بالتفاعل مع الآخرين واستمداد خيوط يمسك بأطرافها وينسج عليها بعض ما يرغب في نشره صحفيا. لقد أشارت السيدة " سوزان " – زوجته الفرنسية – في كتابها عنه إلى بعض الأسماء المهمة من مثقفي مصر والعالم الذين ترددوا على بيته في مناسبات تخصه، أو لأن بعضهم كان في زيارة القاهرة.. إلخ، فمن المصريين: كامل حسين، وجورج حنين، ومصطفى عبد الرازق، ولطفي السيد، وسليم حسن، وحسين عبد الرازق، وأحمد حسن الزيات، وخليل مطران، وعبد الرزاق السنهوري، وغيرهم. ومن المستشرقين: الأب قنواتي، وجاك بيرك، وماسينيون، ومرجو ليوث، وناللينو، وغيرهم من كبار الفنانين والأدباء والفلاسفة من المستشرقين وغيرهم، ممن يعدون أساتذة في تخصصاتهم، وليسوا مجرد أتباع أو معجبين. وفي أماكن عدة أشير إلى زيارات (شخصية) شبه دورية كان يقوم بها يوسف السباعي، وأنيس منصور، وثروت أباظة فضلا عن سهير القلماوي، ولويس عوض، ودولت أبيض، والشيخ أبو رية، وتصف زوجة العميد هذه المجموع الأخيرة بأنهم كانوا " من رواده المألوفين"(٩٧) ومن الواضح أن هذا التوسع في ذكر أسماء

المترددين على منزل العميد ارتبط بناء فيلا " رامتان " بحي الهرم، وقد انتقل إليها عام ١٩٥٦، وكان في السادسة والستين من عمره – كما تذكر زوجته، كما تذكر أن سكنهما في شقة بحي الزمالك امتد إلى عشرين عاما قبل الانتقال إلى " رامتان " وربما أشعرنا هذا بأن شق الزمالك، مهما اتسعت، كانت من العوامل الطاردة لإمكان التجمع حول العميد. وكذلك نجد في كتاب سوزان عبارة ذات مغزى بالنسبة لما نحن بصدده / تقول: " لم يبحث طه حسين عن الشعبية أبدا "(٩٨)، غير أنها – بالمقابل – تذكر أن أيام الآحاد – زمن سكنى الزمالك – كانت تشهد لقاء موسعا بين العميد ومريديه وبخاصة أثناء الحرب العالمي الثاني وقد غصت القاهرة بالأجانب من الصحفيين والمراسلين والنازحين، وكان يستقبلهم جميعا.

هنا نضع إشارة سوزان إلى توجه زوجها بأنه لم يكن يبحث عن الشعبية في سياق من كان يستقبلهم في بيته. وهنا تبدو لنا إشارتان:

الأولى: إننا لا نستبعد أن طه حسين كانت تصله أخبار صالون العقاد، ولو من باب الاستطراف والدعابة. ولا نشك في أن طه حسين – بصرف النظر عن أنه لم يكن يبحث عن الشعبية – لا يتقبل (ولا نريد أن نقول يأنف) يجري في مجلسه كثيرا مما كان يقال في صالون العقاد، وقد رأينا (وسنرى) طرفا من ذلك. من ثم استبعد تماما أن يحمل نفسه على تقبل هذا المستوى من المجالس، ولو كان المقابل الشهرة بين العامة!! وبالطبع أننا نستبعد تماما أن يكون طه حسين عزف عن " الصالون " لأنه كان عازفا عن محاورة الآخرين، فآثاره العلمية والفنية تكشف عن ميل أصيل إلى الحوار، وبعض كتبه قام

منهجه على السؤال والجواب (جنة الشوك، وجنة الحيوان) ودراساته التاريخية والأدبية بوجه عام تقوم على افتراض تصور، وتتولى الاستدلال عليه أو تفنيده..

الثانية: أننا حين نضع الصالون وصاحبه (أو: حياة صاحبه) في علاقة ترابط أو توحد، سنجد أن العقاد الذي يفتح بيته كل يوم جمعة كمجلس عام، كانت حياته الخاصة غائبة تماما، ولا يكاد يعرف أحد عنها شيئا، باستثناء شخصين أو ثلاثة (منهم مُحَمَّد خليفة التونسي الذي حدثني في الكويت بقصة انتحار ابنة العقاد عقب اكتشافها لاختفاء أوراق إثبات نسبها إلى العقاد). قد تحمل بعض قصائد العقاد التي أثبتها أنيس منصور في كتابه إرشادات لفظية أو رمزية إلى بعض محبوباته، كما أن قصة سارة لها مشاركة في هذا الاتجاه، ولكن ما عدا هذا لم يذكره العقاد بصيغة الاعتراف أو التأريخ أو التسجيل. وهذا عكس ما صنع طه حسين في أجزاء كتابه الفريد " الأيام " بأجزائه الثلاث فضلا عما كتب من روايات وقصص قصيرة وحواريات كذلك.

يعد كتاب "معك" فاتحة ما كتب القريبون من طه حسين عن حياته الخاصة، وما يعنينا في هذه الفقرة هو " الصالون " الذي لم يأخذ أبدا هذا الاسم رغم انعقاده بطريقة دورية حينا، وحسب المناسبات والملابسات حينا آخر، فتذكر أنه في عام ١٩٣٢ خصص لطلبته بكلية الآداب لقاء بهم صباح كل يوم جمعة[٩٩]، وكذلك جمعنا من صفحات كتابها أسماء الذين ترددوا على بيت العميد، وقد زاره بعضهم لمرة واحدة بمناسبة وجوده في

القاهرة مثل أ. م. فورستر، وطاغور، وليوبولد سنجور، وبول فاليري، وجان كوكتو، وأندريه جيد.. وغيرهم. وتذكر عن أيام الآحاد في الزمالك وأنها كانت تتضخم، تصفها فتقول: " كان من الصعب أحيانا إنزال كل الناس في البيت، ويبدو لي أننا كنا مسرورين بهذه اللقاءات التي كانت تجري في جو من الودّ والبساطة، وكان ثمة أصدقاء جدد ينضمون إلى الأصدقاء القدامى، ولم تكن صداقتهم في أغلب الأحيان تضيع خلال سنوات الحرب القادمة، وعودة السلام[١٠٠] " وتذكر توجهات زوار زوجها الذين مروا بهذا البيت في الزمالك فتقول إنهم كانوا كتابا وصحافيين وموسيقيين وعلماء آثار ودبلوماسيين وممثلين ورسامين وأطباء[١٠١].

أما كتاب " ما بعد الأيام " الذي ألفه مُحَمَّد حسن الزيات، فقد حاول فيه أن يصف تلك المساحة الزمني التي توقف فيها العميد عن التأليف بفعل المرض وتقدم السن، ولكن – قبل تدهور صحة العميد – فإن اللوحة التي يرسمها الزيات لأفراد وزرافات المثقفين الذين يترددون على " رامتان " تقرب إلينا الصورة المتوقعة لمثقف كبير واضح الفاعلية وحريص عليها في ثقافة عصره. يقول الزيات:

"بعد القهوة، يصعد طه حسين إلى غرفته للراحة وإلى جانب السرير جهاز راديو، يفتحه ليستمع إلى القرآن الكريم وفي الساعة الثالثة تصل مدام غيم لتقرأ عليه كتابا من الكتب الفرنسية الحديثة الوصول إلى القاهرة، وفي المساء ينزل إلى مكتبه ويحضر سكرتيره فريد ليقرأ له ما يريد، وقد يحضر الأستاذ إبراهيم الابياري أو الاستاذ مُحَمَّد الدسوقي من رجال المجمع لقراءة بعض النصوص العربية القديمة وقد يحضر بعض الأصدقاء

مثل الدكتور سليمان حزين، والدكتور كامل حسين والشيخ أبو رية، والأستاذ عبده حسن الزيات والمهندس عبد المجيد حسين شقيق الدكتور الأصغر والدكتور مُحَمَّد عوض مُحَمَّد والدكتورة سهير القلماوي، والدكتور يحيى الخشاب، والأستاذ ثروت أباظة والأستاذ كمال الملاخ والأستاذ يوسف السباعي الذي يحدثه في شئون نادي القصة واتحاد الكتاب والمجلس الأعلى للفنون والآداب ويحضر أحيانا الأستاذ لطفي السيد الذي لم ينقطع عن زيارته مع بعد المسافة بين منزليهما الآن، بين مصر الجديدة والهرم. كل من يدخل المنزل لأول مرة يهنئ العميد بأول دار يملكها.

وبعد العشاء يجلس مع زوجه في الصالون يسمعان بعض الموسيقى ثم تقرأ له زوجه في كتاب [١٠٢] "

وفي سياق آخر يذكر الزيات أن يوسف السباعي وثروت أباظة وعبد المجيد حسين، زوار منتظمون، وكمال الملاخ لا ينسى أعياد ميلاد العميد[١٠٣]. ويخص الزيات العلاقة بين طه حسين والعقاد بفقرة مهمة كانت بدايتها تساؤلا من يوسف السباعي فوصل حديث العميد إلى العقاد، فقال عنه:

"لقد جاءني بعض الشباب يوما فانتهى حديثهم إليه، واخذوا يوجهون إليه من الانتقاد ما كانوا يعتقدون بغير شك أنه سيرضيني، فقلت لهم أن هناك في أغلب الظن، في نفس ذلك الوقت، شبابا مثلهم في مجلس العقاد يحاولون أن ينالوني بمثل ما تحاولون أنتم أن تنالوه به، وقلت أنني ما أظن العقاد سيسر بذلك أو سيعجب به، فإنني أنا لم أرس بما قلتموه الآن عنه، ولم أعجب به.

إن العقاد كان هو النائب الوفدي الوحيد الذي وقف في مجلس النواب بدافع عني ضد هجمات زملائه وهو مدرك أن رئيس المجلس وهو سعد زغلول باشا ذاته، لم يكن يكره في ذلك الوقت أن تزداد نار هجومهم اشتعالا، وبعد سنوات، عندما أقصاني حلمي باشا عيسى عن الجامعة، ثم عن الحكومة. كتب العقاد مقالا عنوانه أن حل مشكلة الجامعة هو أن يستقيل وزير المعارف، وختمه بأن أحدا لن يأسف على استقالة الوزير لا من خصومه ولا حتى من رجال حزبه!

ويقول الأستاذ السباعي: لقد قامت بينكما مساجلات في موضوعات شغلت الصحف المصرية كلها، مثلا خلافكما حول الثقافة اللاتينية والثقافة السكسونية، والذي استفاد حقيقة من هذه المساجلات هو جمهور القراء.

ويقول طه: لم يرد في هذه المساجلات لفظ واحد ينبو عنه الذوق السليم. ولقد كانت سببا ووسيلة لتنشيط حياتنا الأدبية.

ويقول السباعي: لقد اهديت قصتك دعاء الكروان إليه.

ويرد طه قائلا: نعم قلت إنها تحية خالصة من صديق مخلص.

ويقول السباعي: ولكنك انتقدت بعنف بعض كتبه مثلا كتابه عن أبي نواس.

ويقول طه: وهل ينتقد الكاتب من أعمال زملائه إلا ما يستحق العناية به — على أن انتقادي كتاب العقاد عن أبي نواس ناشيء أساسا عن استعمال العقاد فيه لأساليب المحللين النفسيين، ولست أدري حظ هؤلاء المحللين النفسيين من التوفيق في تعاملهم مع الأحياء فكيف بتحليلنا لنفس

الأموات، وعندنا الدكتور مصطفى زيور وهو من تلاميذي الذين أحبهم ولكني أداعبه دائما بالتشكيك في هذا العلم الذي تعلمه في باريس.

وبعد لحظة سكوت يقول طه حسين: أظن يحسن أن نسأل عن الأستاذ العقاد ولو أن الوقت متأخر.

ويطلب السكرتير منزل الأستاذ العقاد بالتليفون ويتحدث طه حسين إلى من يرد عليه ثم يقول:

"الحمد لله، وإذن نراه في جلسة المجمع القادمة إن شاء الله "(١٠٤)، ولكنهما لم يلتقيا فقد رحل العقاد قبل موعد انعقاد جلسة المجمع!!

وفي كتاب أنيس منصور – وقد عرضنا له من قبل – اهتمام واضح بطه حسين من خلال ما كان يجري في صالون العقاد من تعقيبات قد يتحول بعض منها إلى غمز ولمز ينال من شخص العميد، ويستخفّ ببعض آرائه، وما لبث أنيس منصور أن عقد في كتابه عن أيامه في صالون العقاد فصلا كاملا عن طه حسين، وعنوانه:"ولكن طه حسين أراحنا أكثر(١٠٥)"، ويقدم منصور اعترافا بأنه ومجموعة من مريدي العقاد قرروا لقاء طه حسين في فترة من توتر علاقة الحوار مع العقاد، ووجود وسيط من مريدي طه حسين أخذ لهم موعدا للقاء العميد ببيته بالزمالك، وتم اللقاء، وكانت ثمرته –كما يذكر أنيس منصور: " لقد كان طه حسين ألطف وأرق، وأكثر تواضعا. وكانت الغرفة الصغيرة التي جلسنا فيها تدل على أن البيت " مسكون " بأناس كثيرين، هذا رتب الكتب، وهذا وضع السجاجيد، وهذا أتى بالورد، ثم هذه الروائح التي في البيت تدل على أن أشياء كثيرة يجري

إعدادها: الطعام والشراب، ونساء معطرات وسجائر.. وعلى أن الأبواب مغلقة والنوافذ كذلك. أما الأضواء فهي أقرب إلى الظلال. ثم إن هناك همساً، وهذا الهمس يدل على توفير الهدوء لصاحب البيت عميد الأدب..[١٠٦] "

هذا الوصف للمكان له دلالات عميقة على الطابع الفكري التأملي الرصين السائد عند صاحب المكان، وهذا الوصف المكاني قد استدعى – بدوره – المقابلة بين ما سبق وبين الصورة المستحضرة المألوفة " لمكان " صالون العقاد. يقول أنيس منصور: " أما بيت الأستاذ فهو مفتوح الأبواب والنوافذ، والهواء والضوضاء والضوء ترتاده من كل مكان، إنه كالبيت " المهجور " أو إن لم يكن مهجورا فليس فيه أناس كثيرون، والذين يسكنونه لا يهتمون بشيء، مما تهتم به البيوت عادة؛ فهو بيت مفتوح النوافذ والأبواب، ولكن زواره قليلون. ثم إن البيت الذي يسكنه العقاد صورة ساذجة لخيال خادم أو سفرجي، فليس يهم الأستاذ من هذا لبيت إلاّ الكتب، وإلا القهوة وعصير الليمون، والطعام المسلوق، وليس بيت الأستاذ صورة لعقليته، فالبيت فوضى، ولا بيت طه حسين لعقليته؛ لأن البيت "مغلق" محكم، فطه حسن متفتح العقل، مضيء الفكر، وإنما البيت صورة لما تراه زوجته، فهي تريد البيت أن يظل بيتا وصومعة في نفس الوقت[١٠٧] ".

وخلاصة القول فيما نراه من نصيب عميد الأدب إسهاما في ظاهرة الصالونات الثقافية في زمانه أنه لم يهتم بأن يطلب من مريديه – وما أكثرهم – بالسعي إليه في بيته أو في مكان عام متفق عليه حسب توقيت محسوب، وهو شرط الصالون في صورته المعهودة، ولكنه كان أكثر حرصا على " جوهر " الصالون: اللقاءات الموسعة، وما أكثرها في الندوات

والمؤتمرات والمجالس واللجان، كما في بيته، وكما في صالونات سبقت بازغ شهرته، مثل صالون مي، وصالون آل عبد الرازق، وصالون جريدة السياسة، وكما يتجلى " الصالون " في اللقاءات المفتوحة فإنه يتحقق بالحوارات المفتوحة كذلك، وقد كان العميد " أستاذا " بحق في هذا الأسلوب في طرح إدارة الحوار، والأدل على هذا أنه حين كان يخلو إلى نفسه ليملي بعض طروحاته الفكرية، فإن أسلوبه الأثير كان يقوم على طرح الأسئلة والفروض ثم يجتهد في التأييد والتنفيذ حتى يحلو الفكرة ويصل إلى ما يراه "الممكن" في هذا المجال.

٩- رؤيـة .. ورأي

بعد هذه المرايا العاكسة لصور مراحل وشخصيات شهدت وصنعت صالونات كان لها أثرها الواضح في إنعاش الثقافة، وتنبيه الوعي العام، يحق لنا أن نتخذ موقفا، وهو في جانب تحبيذ الصالونات (العربية) ودعمها وتقويتها. إن مجتمعاتنا في حاجة إليها، لا أخص مجتمع النخبة، أو عامة المثقفين أو من هم دون ذلك ثقافة، وإنما أعني كافة دوائر المجتمع العربي في أي موقع كان، بما في ذلك القرى ذات الكثافة السكانية، ومجتمعات الطوائف المهنية (مدينة العمال، مدينة الضباط، مدينة الصحفيين.. إلخ) ليس لأحد غنى عن حضور الصالون، كما نقول تماما: ليس لأحد غنى عن أن يكون إنسانا اجتماعيا، وأن يكون على دراية بتبادل الحوار، فهذا جوهر حضوره الإنساني.

إن ساعتين في صالون ثقافي – على تنوع الثقافة – تضيفان إلى النفس

الكثير مما تحتاجه ليتحقق لها الاتساق السلوكي، والتوازن النفسي، والشعور بالثقة والأمان عبر تحاور الأضداد ووضوح الاختلاف.

إن الصالون – من حيث هو " وحدة " في نسق اجتماعي ثقافي شامل يأخذ موقع " الخلية " في الجسد الحي الذي تكتنفه دعاوي " العولمة "، وليس لنا أن نستهين بهذا التوازن المطلوب لتكييف الوجود، فالثقافة من منظور دارويني تتوصل لما هو مناظر أو معادل للخلية البيولوجية وهو " الميمة " وهي الوحدة الأولى للثقافة النزاعة إلى البقاء، من ثم تحتاج إلى استمرار التراكم الثقافي والإنعاش المعرفي المستمر.(١٠٨)

إن علوم الاجتماع – بصفة خاصة – تبدي اهتماما بالوحدات الصغيرة والأصغر في بنية المجتمع، ولا تكاد تقترب من هذه الوحدات حتى تبدي فريد اهتمامها بثقافتها، من ثم كانت العناية بالميمات، وبالجماعات البؤرية(١٠٩)، وبدور المعرفة والعناية بمصادرها ورسائلها.

وحين نعود إلى جلاء ظاهرة الصالونات في امتدادها وتطور أشكالها التاريخي، سنجد ازدهارها بشير التقدم، وإرهاص بالتغيير، فليس مصادفة أن تكون مدن الحجاز في عصر بني أمية مهد الصالونات العربية المبكرة، وكان الحجاز بعيدا عن مركز السلطة في دمشق، ومن ثم أتيح له من " إبداع الحرية " ما لم يتح لغيره، وبالضد: حين هيمن الأتراك على أقطار العرب تراجعت المجالس الأدبية أو اختفت، لتحل في مكانها حفلات الغناء والرقص والهزل، وقد أغمضت سلطة الولاة عيون عسسها عن هذا ما دام لا يمثل تهديد أولي الأمر في سلطانهم.

وفي زماننا، وقد صغر حجم المسكن الخاص حتى تحول إلى ما يسمى " شقة " في عمارة صغيرة أو كبيرة، استطاع المقتدرون أن يحافظوا على خصوصية الصالون في بيوتهم، وان يحرسوا هذا التقليد (الثقافي) التاريخي، في حين أن غير القادرين أو المستغرقين في " الشعبية " وجدوا في " المقهى " البديل المناسب، وهنا يمكن أن نلاحظ أن المقاهي ذات مستويات كذلك، وأن المستوى ومركز الدائرة، (المفكر أو الأديب الذي يتحلق حوله المريدون) يحدد نوعية هؤلاء المريدين.

إن الكم الأكبر من الصالونات الثقافية، ومقاهي الأدباء (في مصر كما في تونس أو دمشق) تتجمع حول أساتذة الجامعات، وفي هذا دليل على أن قاعات الدراسة، ومستوى الطلاب أيضا، لا يتسعان لما يريد أن يفضي به الأستاذ، ومن الطريف أن يتواطأ الأستاذ والطالب على أن مجرد تغيير المكان يتبعه تلقائيا اتساع دائرة المأذون بتداوله من الأفكار وأساليب الكلام، فالطالب الجامعي يتقبل من أستاذه على المقهى ما يغلب أن يرفضه إذا ما قاله في قاعة الدرس. وفي هذا دليل قاطع على سطوة المؤسسة " الجامعية "، وإن ادعت أو أعلنت عكس ذلك.

وقد يحق لي أن أدلي بملاحظات شخصية من واقع مشاهداتي لبعض صالونات القاهرة، فربما غلب على الصالونات التي تشرف عليها سيدات مثقفات: الاهتمام بالشعر. وقد تتصاعد الشعارات السياسية كذلك. وهنا تبدو صالونات الأكاديميين أقرب إلى تحقيق مفهوم الثقافة بكل ما يحمل من تنوع، مع الحرص (غالبا) على ديموقراطية الممارسة، ففي صالون أستاذ الجامعة – بوجه عام – تتجدد أشخاص المتحدثين، وتتنوع موضوعات

الحديث، ويشارك الجميع في الحوار على قدم المساواة.

ربما تحتاج الصالونات المعاصرة إلى " إحياء " كافة أنشطة الصالونات التي عرفتها تجارب المجتمعات العربية وغير العربية، نحتاج إلى صالونات لسماع الموسيقى ونشر الثقافة الموسيقية، وكذلك الأمر بالنسبة للفنون التشكيلية، وفنون العرض (المسرح والسينما والتلفزيون) وبالنسبة لمصر فإن فيها مراكز تتبع الدولة أو بعض الجمعيات تؤدي مثل هذه الوظائف، ولكنها قليلة، وفي مواقع لا يسهل بلوغها ولابد من المشقة والنفقة، وهو ما يغني عنه وجود الصالون، أو ركن المقهى.

وفي بعض مدن الأقطار العربية عدد غير قليل من الصحف، يتولى شباب الصحفيين في المؤسسة إقامة ندوة أسبوعية، ولكن يلاحظ أن هذه الندوات قليلة، وأنها بكاملها تختص بفنون الأدب، (غالبا رعاية الناشئين بإتاحة الفرصة لعرض نتاجهم) وفي ظني أن هذه الندوات ينبغي أن تهتم بما يمكن أن نطلق عليه " المحور الصحفي " صناعة، وتحريرا، وأهدافا، وإن هذا يعمل على تنوير الرأي العام، لأن الصحافة ذاكرة وتاريخ، ويمكنها – حتى في حال أنها " أوراق مضى زمانها " – يمكن أن تنبه الأفراد والجماعات، وتدلي بتوجيهات ذات تأثير عظيم.

وهنا مثال آخر من مصر: تملك " الهيئة العامة لقصور الثقافة " مقرات في مئات وربما آلاف القرى، وقد " تسلط " في كل منها بضعة أشخاص يكونون ما يطلق عليه " نادي الأدب " – وتقريبا – ليس له من مهمة غير إنفاق الميزانية الشحيحة في أنشطة لم يبلغ بها أحد!! هذا أحد

أمراض البيروقراطية المتجذرة. إن الثقافة حق للجميع (جميع أهل القرية) والأدب أحد محاور الثقافة، وهذا ما ينبغي تفعيله كبديل (ريفي) للصالون.

تهتم جوديث بيك بما تسميه " العلاج المعرفي "، وقد ينظر إلى عرض الموضوع على أنه إسهام في العلاج النفسي، غير أن كل ما هو استثنائي صالح للتطبيق في حالات ليست بالضرورة مرضية، فإذا كان هناك من دعا إلى التداوي بالشعر، والموسيقى، فما وجه الغرابة في أن تكون المعرفة، في جلسة جماعية، تقوم على المشاركة والحوار، أساسا للاعتدال النفسي والتوازن الفكري[١١٠].

من واجبنا أن نتذكر خصوصية لغتنا العربية (الجميلة الجهيرة سليلة الصحراء) أنها كانت ولا تزال لغة سماع، وأن حلاوة إيقاعاتها الصوتية تبدو في ارتجالها، وإذا كان العقاد في واحد من كتبه نعتها بأنها " اللغة الشاعرة " لغلبة المجازات في استخدامها المتداولة، فقد استحقت وصفها بأنها " لغة الضاد " لما تميزت به حروفها / أصواتها من تدرج في المخارج ما بين الجهر والهمس، والشدة والرخاوة.. وهذا التناسق يبدو في ارتجال المقتدرين من المبدعين: الشعراء والناثرين. وبخاصة حين تنعقد جلسات الحوار بالشعر، أو بالأقوال المأثورة.

وقد حفظت لنا كتب الأدب أخبار الشعراء المتنافسين بالشعر في مجالس الأدب، كما أشارت الدراسات القريبة إلى فنون من الارتجال الشعبي وجدت عبر مجالس الشعراء ومنازلة بعضهم لبعض بقصد الغلبة جدا أو هزلا. ومن هذه الفنون " التمليط "، وصورته أن يتساجل شاعران

أو أكثر، فيضع أحدهم صدر بيت، فيتمه الآخر بذكر عجزه متناسبا مع السياق، وتستمر المنافسة إلى أن يعجز أحدهما عن الاستمرار، فيكون لصاحبه الغلب، وفي مثل هذه المجالس تكون "المساجلات" و"المطارحات" الشعرية موضع اعتبار كذلك، إذ يرتجل أحد الشعراء أبياتا يطلب الرد عليها (على قاعدة النقائض أو المعارضات) موافقا في المعنى أو هادما له، ولكن ملتزما بالوزن والقافية في الحالين. ومن آخر ما يروى في هذا الاتجاه ما شهر به أديب الثورة العرابية: عبد الله النديم، قبل التحاقه بالثورة، وكان يحمل صفة: الأدباتي.

إن فنون الارتجال تلائم نوعية الذكاء العربي المؤسس على شفاهية المختزن من مأثور اللغة والأدب، المبني على ذكاء " الومضة " وحضور البديهية وسرعة الرد. هذه جذور تاريخية نعدها من خواص اللسان العربي، والعقل العربي، وإن "الأجوبة المسكتة" موقعها المشافهة في المجالس، وليس الكتابة في الغرف المغلقة.

لقد سبق قولنا: إن الثقافة حق أصيل من حقوق الإنسان، كما أنها أسلوب من أساليب التنمية البشرية، ولكن: ما الأهمية التي تكتسبها المشاركة في الأداء، أو التلقي عن طريق الصالون، وليس مثلا عن طريق الانترنت؟ (وهناك تجربة عراقية ذكرناها، ورواية لرجاء الصانع اعتمدا على هذا النمط)، والجواب: أن الصالون حضور إنساني مقيد ومنضبط باللقاء، وهذا وحده يضبط السلوك، ويرتقي باللغة، ويلجم شطحات الانفعال. وهذه الجوانب الثلاثة هي ما تفتقده المشاركة عن طريق الوسائل الالكترونية التي تبدو أسرع، وهذا حق، ولكنها أقرب إلى الإغراء

بالإنفلات، وقد تؤدي إلى نقيض المراد منها، وهو التنابذ والمشاجرات الإلكترونية، وما أيسر أن يُستدرج الانفعاليون والانعزاليون إليها. ونضيف أخيرا: أهمية التربية السياسية، فالصالون برلمان مصغر، فيه الرأي وحق المعارضة، والتسليم بالصواب للأكثر دون إكراه الأقل على الانصياع. فما أحوجنا إلى البرلمانات الصغيرة، فلعلها أن تكون مدخلا إلى صلاح البرلمان الكبير.

لقد تداول المشغولون بقضايا التنمية مصطلح " التنمية المستدامة "، وهذه الاستدامة، أو هذا الاستمرار هو الذي يحفظ للشخص حيويته، وقدرته على الأداء المبدع طوال حياته.

يقول مُحَّد فتحي عبد الهادي في عبارة جامعة: " التعليم الأساسي يساعد في القضاء على محو الأمية المتفشية في البلاد العربية، والتعليم الإبداعي يؤدي إلى إعداد وتأهيل شخص قادر على حل المشكلات والابتكار، والتعليم المستمر يحفظ للشخص حيويته وقدرته على الأداء المبدع طوال حياته، والتعليم العالي الجيد يؤدي إلى بحث علمي قادر على التطوير والابتكار ".[١١١]

هل نستطيع في ختام ما عرضنا من دلائل تستدعي العناية بالصالون في صوره وتحولاته المختلفة – أن نقول إنه مطلب إنساني في كل مراحل العمر، في كل أنشطة الحياة، في كل الطبقات والمستويات.

الهـوامش

١. تسبق إشارة: " مقدمة في النقد الأدبي " (١٩٧٥) إلى سكينة بنت الحسين ومجلسها الذي تناقش فيه أقوال الشعراء (من زاوية علاقة الرجل والمرأة خاصة) وتبرز هذه الإشارة، كما تنقل عن كتاب " الأغاني " ما يدل عليه هذا المجلس من مكانة سيدات قريش في مجتمع الحجاز، ومدى الحرية التي حققنها في مجال السلوك الاجتماعي، وينقل ما نسب إلى زوجها مصعب بن الزبير في وصفه لها بأنها عفيفة سليمة برزة، تجالس الأجلة من قريش، ويجتمع إليها الشعراء، وكانت ظريفة مزاحة، وكانت تصفف جمتها (شعر مقدمة رأسها) تصفيفا لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك.

ينظر: مقدمة في النقد الأدبي: ص ٢٨٨ وهامش الصفحة نقلا عن كتاب " الأغاني ". ثم تأتي إشارة أخرى بعد أكثر من ثلاثين عاما حين قمت بتدريس مقرر جامعي عن النقد

المعاصر في مصر، فذكرت الصالونات، وأشرت إلى صالون ميّ زيادة، وصالون العقاد، وصالون آل عبد الرازق،في نصف صفحة، ولكنها حركت ضلعا آخر، لعله " قاعدة المثلث".

بين الإشارتين السابقتين كان قد نشأ وتكون واستقر صالون ثقافي، مكانه بيتي بالمعادي، وموعده الجمعة الأخيرة من كل شهر، وقد بدأ عام ١٩٩٠ أو قبيله، وهو مستمر إلى اليوم دون انقطاع لأي سبب حتى لو كنت على سفر، فقد كون مجموعة من المثقفين الحريصين على التلاقي وتبادل المعرفة في موعدهم، وبالطبع فإنني أبادلهم هذا الحرص. وقد تأتي سياقات تستدعي الاقتراب من هذا الصالون (الشخصي) فيما بعد.

٢. من المهم أن يكون واضحا أننا لا نلغي – ولا نملك أن نلغي – فاعلية تجمعات ذات طابع عشائري أو مهني أو نقابي، إذ لها تأثيرها، ولكن ما نعنيه أنها تفتقد شرط الصالون الثقافي حتى وإن استجلبت اسمه عنوانا لها.

٣. يراجع في تفاصيل هذا الموضوع: كتاب يحيي وهيب الجبوري: مجالس العلماء والأدباء والخلفاء: مرآة للحضارة العربية الإسلامية – دار الغرب الإسلامي ط١ – بيروت ٢٠٠٦ – ينظر الصفحات ١٠١ – ١١٤.

٤. المرجع السابق، والصفحات ذاتها.

٥. قد تبدو هيئة " المجلس " مختلفة كثيرا – من حيث الشكل – ما بين مجالس الخلفاء ومجالس القصاص، وهذا واضح بالنسبة للمادة المسرودة، ولكنها مادة موجهة إلى هدف محدد في كلا الحالتين، فلن يقال في مجلس الخليفة إلا ما يود أن يسمعه، كما أنه متحكم في منح الإذن بالكلام، وفي مجلس قصاص المساجد يلقي القاص المحترف حكايات ومواعظ وطرائف محققا هدفه، وهو شغل جمهوره عن طرح أسئلة لا ترغب السلطة في تداولها، بما يعني أنه يظل المتحدث الأوحد، وبهذا ينتفي أهم شروط الصالون، وهو الحوار الحر المستحق لجميع حاضريه.

عن " القصص والقصاص في الأدب الإسلامي " يراجع كتاب الدكتورة وديعة طه نجم بهذا العنوان – مطبعة حكومة الكويت – ١٩٧٢.

وينظر المسعودي: مروج الذهب – ج٣ – ص ٢٨٦.

٦. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي – ج٣ – ص١٠٥.

٧. يراجع فصل: المنهج وأدب الحوار بين النحوي والمنطقي (ص ١٠١ – ١٢٧) من كتابي: أهمية أن نعرف – دار قباء – القاهرة – ٢٠٠٦.

٨. رابح لطفي جمعة: منتديات النساء الأدبية – ص ٢٤.

٩. ولعل هذا الحضور النسوي (التاريخي) يخفف من استغراب طلابي حين تطرح ظاهرة الصالونات الحديثة والمعاصرة، فتقدم أسماء: نازلي فاضل، ومي زيادة، وغيرهما من فضليات النساء فتحقق حضورها الاجتماعي والثقافي قبل صالون العقاد!!

١٠. استوفت دراسة الدكتور جابر قميحة على الشبكة العنكبوتية بعنوان: " أضواء

على الصالونات الثقافية حدود الصالون وتطور الدلالة عبر الأزمنة واللغات، ونكتفي بإيراد هذه الفقرة من دراسته.

من المعروف أن كلمة صالون كلمة دخيلة على اللغة العربية واصلها في الأجنبية sale وترجمت في بنيتها العربية صالة، ومعناها: غرفة – بهو – قاعة – حجرة واسعة. أما كلمة salon فتعطي المعاني السابقة في الفرنسية، وتزيد عليها في المعنى: ندوة: أي اجتماع للتشاور أو التباحث ومناقشة مسائل متعددة.

وتستعمل كلمة salon في الإنجليزية بمعنى – القاعة أو البهو الواسع لغرض العرض أو الاستقبال، أي كمعرض لعرض اللوحات أو التماثيل أو التحف والملابس وغيرها.. وتعني كذلك الاجتماع الدوري لأدباء ومفكرين ومثقفين للمناقشة في قاعة محددة من قصر خاص، أو مبنى خصص لذلك.

أما كلمة saloon فتعطي المعاني السابقة، وتزيد عليها مسميات أخرى هي: السيارة المقفلة التي تسع من أربعة إلى سبعة ركاب، وكذلك الحان (البار)، أي مكان بيع الخمور وشربها.

وفي فلك التعريفات السابقة تدور المراجع العربية الحديثة: فالصالون Salon في معجم " وهبة " يطلق على الندوة الأدبية: أي اجتماع في قصر من قصور رعاة الفنون والآداب يتآلف من الأدباء والفنانين والساسة البارزين، يجتمعون فيه بصفة دورية لمناقشة المسائل الجارية، والموضوعات الأدبية.. ويطلق الصالون كذلك على المعرض السنوي العام الذي يقيمه مجموعة من المصورين تجمعهم فكرة واحدة في فن التصوير.

وبناء على ما ذكرناه سابقا نخلص إلى الحقائق الآتية:

– الكلمة في اللغات الأوروبية كلمة مستحدثة لم يكن لها وجود في القديم.

– الكلمة دخيلة على اللغة العربية.. وإن وجد في التاريخ العربي مسميات يمكن – مع شيء من التجاوز – إطلاق كلمة " صالون " عليها، مثل المجلس، والمنتدى، والندوة.. كما يمكن اعتبار الكلمة من الدخيل المعرب، مثل: بستان، وديوان، ولها ما

يوافقها من الوزن الصرفي، وهو " فاعول "، وعليه جاءت كلمات قرآنية مثل: طاغوت، وناقور، وكافور..

– وبتحديدنا هذا المصطلح في النطاق الفكري نجد أن مفهومه يأخذ دلالة من الوصف اللاحق به، فهناك الصالون الأدبي، والصالون السياسي، ويأتي وصف الثقافي ليتسع – منفردا – للتوصيفات السابقة وغيرها، فهو أشملها جميعها.

– يطلق مصطلح الصالون على المكان، وقد يطلق على المجتمعين، ولكنه – في الأغلب الأعم– يطلق على المجتمعين في مكان معين بصفة دورية لمناقشة موضوع ما.

– أشرنا إلى أن الكلمات التي تستخدم مرادفة " للصالون " ندوة، ومنتدى، وملتقى، ولقاء، ومجلس.

ولكن الاستعمال العرفي يجعل ثمة فروقا بينها تكاد تكون في الدرجة لا في النوع، فروادها أكثر، ومكانها أكثر اتساعا، وقد يتغير من ندوة إلى أخرى، وقد يكون مكانا عاما، ولا التزام لدورية عقدها، أما الصالون فمكانه – غالبا كما ذكرنا – قاعة في قصر، أو بيت خاص لشخصية " ذات حيثية " اجتماعية، أو ثقافية، أو سياسية بصفة دورية: أسبوعيا، أو شهريا، أو نصف شهري.

١١. ينظر في هذه القضية كتاب: " ستانلي هايمن: النقد الأدبي ومدارسه الحديثة " في أماكن مختلفة. زينظر ما كتبناه في هذا الموضوع في كتاب: " مداخل النظرية النقدية " المقدمة بصفة خاصة.

١٢. ستتأكد هذه الصورة بالتفصيل حين نعرض لكتاب أنيس منصور بعنوان: " في صالون العقاد: كانت لنا أيام "، وقد حضرت صالون العقاد مرتين (فقط) ولاحظت هذا.

١٣. هناك أسباب أخرى تستدعي الدعوة لإقامة الصالونات، كنت أرددها مقتنعا بها، ولا أجزم أنها صالحة في هذا المقام، ولذلك اكتفي بالإشارة إليها إجمالا في هذا

الهامش: من هذه الأسباب ترامي المسافات في القاهرة التي تعد عدة مدن اتصلت أطرافها، من ثم يصعب التنقل بين جوانبها (بسبب الوقت والزحام وأجر المواصلات) ويترتب على هذا مسؤولية من يملك مكانا مناسبا، وسعة صدر تقبل الاختلاف، ورغبة حقيقية في منح فرص للأجيال الجديدة، وتقبل للعمل الجماعي، واتساع الرزق – نسبيا – بحيث يمكنه تقديم ضيافة مقبولة لكافة رواد الصالون. وهذه العوامل السابقة – وحدها – لا تضمن تأسيس صالون واستمراره، لأنها جميعا تأتي بعد عامل أساسي هو أن تكون " الشخصية" أو الشخصيات القائمة على أمر الصالون ذات حضور ثقافي وإنساني، وذات تاريخ يفعل هذه العوامل المشار إليها ويحفزها.

١٤. دراسة جابر قميحة المومئ إليها مفتاحها gkomeha@gmail.com – أما العروض السعودية الثلاثة فهي عن " المجلة الثقافية " و " الاقتصادية " و " مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ". ومن اللافت أن هذه المدونات تجمع " صالون " على " صوالين " وهي صيغة جمع التكسير، في حين تشيع في الكتابات المصرية صيغة جمع المؤنث " صالونات ".

١٥. حسنة عبد السميع في مقدمة ترجمتها لكتاب سيرل، بعنوان: " بناء الواقع الاجتماعي من الطبيعة إلى الثقافة " – ص١٦.

١٦. ينظر مقال عمار علي حسن، بعنوان: " من القبيلة إلى الفيس بوك " – صحيفة المصري اليوم – عدد ٢٠١٣/٧/٢٦.

١٧. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن – طبعة ثالثة – ص٤٩ – ٥١.

١٨. نقلا عن موسوعة ويكيبيديا باللغة الانجليزية. ومن طريف ما تذكر هذه الموسوعة عن الصالونات المبكرة في فرنسا، وكانت – في جملتها تشرف عليها سيدات، أنها كانت تعقد في حجرة النوم، وكانت هذه الحجرة الخاصة جدا تتمتع بامتيازات تتجاوز ما تتمتع به حجرة الاستقبال (!!) حيث تستقبل سيدة الصالون

أصدقاءها المقربين يتحلقون حول سريرها على مقاعد في حين تتمدد هي في فراشها. ولكن حين استهل عصر الملك لويس الرابع عشر كان الحضور يقضون وقت الصالون وقوفا، وكان الصالون يعرف باسم ruelle، ومعناها الحرفي: شارع ضيق أو حارة، والمقصود به المسافة بين الفراش وحائط حجرة النوم ونضيف ما أشار إليه يحيى الجبوري في كتابه " مجالس العلماء..." أن من شروط المجلس – عند العرب – إلقاء السلام عند القدوم وعند القيام، والقرار في المكان، فكل جالس أحق بمكانه، وإكرام الجليس، ووجوب الإصغاء للمتحدث، والتزام أدب الحديث في المجلس.. ينظر كتاب الجبوري – ص ٢١ – ٣٠.

١٩. يصف مصعب بن الزبير زوجته سكينة بنت الحسين بأنها: عفيفة سليمة برزة، تجالس الأجلة من قريش وتجتمع إليها الشعراء، وكانت ظريفة مزاحة، ويروي أبو الفرج الأصفهاني عن مجلسها الأدبي جانبا من نقدها لشعراء زمانها وإجازة بعض منهم. وقد وجهت انتقادا لأبيات غزلية قالها عروة بن أذينة، وأخرى قالها كثير، وكلاهما شاعران مجيدان في الغزل، وعابت بيتا لجرير، ولكنها – في ندوة أخرى – عابت أبياتا للفرزدق، ومنحت جائزتها لجرير. ومنحت كل إعجابها لشعر جميل بن معمر.

الخبر بتفاصيله وتعدد رواياته في كتاب الأغاني ج٢١ ص ٢٥٢ – ج٧ ص ٩٥ – ج١٤ ص٣٨٤ وما بعدها.. ومواضع أخرى.

٢٠. أشارت بعض مصادر الاستشراق إلى أن صالونات نساء الأندلس هي اللاتي نبهن نساء أوروبا إلى هذا النشاط الثقافي الاجتماعي، وقد جاء في كتاب " اثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية " أن عددا من ملوك الفرنجة الذين أزاحوا الحكم الإسلامي من أسبانيا كانوا بعد أن يستقر بهم الوضع في إماراتهم يقلدون أمراء العرب والمسلمين في مجالسهم من حيث الترفيه بالطرب والغناء وإنشاد الشعر.. الخ.. ومن الواضح أن هذه الصورة (الترفيهية) إحدى صور صالونات الطبقة العليا في العصور الوسطى. الناشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

١٩٧٠ ص ٥٥ (وقد كتب هذا المبحث في الكتاب الدكتور محمود مكي).

٢١. في هذا السياق إشارة دالة، سلبية بأن بعض هذه الصالونات شهدت حكايات عشق وفضائح ومؤامرات. وتقرر هذه الدراسات أن الدور النسائي الايجابي – كان – مع هذا –أقوى تأثيرا.

٢٢. الجيروندیست: حزب فرنسي يمثل مصالح التجار المحليين الليبراليين من الطبقة الوسطى، وكانت له شعبية في الشارع الفرنسي في مقاومة الثورة المضادة، وتوجيه الشارع إلى حماية مصالحه، وقد رفع نواب الجيرون شعار الحرب الثورية. وكان ازدهاره في العقد الأخير من القرن الثامن عشر، حوالي عام (١٧٩٢).

٢٣. مارسيل بروست: توفي ١٩٢٢، روائي فرنسي من أشهر رواياته: البحث عن الزمن الضائع وتتألف من سبعة أجزاء، درس القانون والأدب، ويعد أحد مؤسسي أسلوب تيار الوعي في الرواية العالمية.

٢٤. أناتول فرانس: روائي وناقد فرنسي، توفي ١٩٢٤، وله عدة روايات من أشهرها: تاييس، والآلهة عطشى، وثورة الملائكة، وكان عضوا في أكاديمية اللغة الفرنسية، وحصل على جائزة نوبل.

٢٥. بول بورجيه: كاتب فرنسي، توفي ١٩٣٥، له عدة روايات من أشهرها: شيطان الظهيرة، والتلميذ.

٢٦. موسيقى الحجرة: chamber Music هي نوع من الموسيقى الكلاسيكية، تؤدى بواسطة عدد محدود من العازفين، وقد كانت تؤدى في حجرات داخل القصور، وتعزفها الفرقة بدون قائد مايسترو، وبذلك يحظى كل مؤد بحرية فنية أكثر، ولكن في إطار النص الموسيقي المكتوب، وقد يطلق عليها موسيقى الصالون.

٢٧. جان كوكتو: توفي ١٩٦٣، أديب وشاعر، وكاتب مسرحي وروائي، ومصمم ورسام، وصانع أفلام فرنسي، اشتهر بروايات الإرهاب المقدس، كما اشتهرت له عدة أفلام، وهو أحد مبدعي مسرحية أنتيجون.

٢٨. سلفادور دالي: رسام أسباني، توفي ١٩٨٩، أحد أركان المدرسة السريالية في الرسم، وقد اكتسب شهرة عالمية في هذا الاتجاه السوريالي.

٢٩. الجوارب الزرقاء: مصطلح شاع في المجتمع الانجليزي عن النساء المشتغلات بالثقافة والشأن العام، وقد تكونت جمعية تحت هذا المسمى، وقصد به التمييز للمشاركات ببعدهن عن الصفة الرسمية، ولكنه في أزمنة تالية قصد به الوصف بالتصنع والرثاثة.

٣٠. وكانت مقالاتها المتعلقة بقضايا المرأة تترادف وتأخذ مكانا مرموقا بجريدة السياسة الأسبوعية أعوام ١٩٢٥ – ١٩٢٧.

٣١. يذكر في هذا الموضع أن أسرتها تآمرت للحصول على ثروتها التي ورثتها عن أبيها، فزعموا جنونها، وأدخلت مستشفى الأمراض العقلية في بيروت (ويطلق عليه العصفورية) وقد عانت محنة شديدة، فلما غادرت المستشفى عادت إلى مصر، وتوفيت ببيتها بضاحية المعادي.

٣٢. من طريف ما يروي عن أخلاق ميّ، أنها كانت – مع اتزان سلوكها وسلامة خلقها – تشعر كل من يتعلق بشخصها من مشاهير عصرها (كالعقاد ومصطفى صادق الرافعي وغيرهما) بأنها تؤثره بمودتها وأنه أهم أصدقائها.. إلخ.

٣٣. وهنا أفرّق بين السبق الزمني والريادة، فشرط الرائد أن يكون مدركا لدوره، واسع التأثير في غيره، قادرا على تطوير الوسائل والأدوات التي يعتمد عليها. وهنا نعرف أن نازلي فاضل انتقلت إلى مدينة تونس، وهناك افتتحت صالونها بما يدل على وعيها وحرصها على وظيفة الصالون، ولكن " مي " تجاوزتها بأنها مبدعة، ومؤلفة، وذات عناية بالمرأة إذ ألفت عن باحثة البادية، بما يؤكد على وعيها بموقع صالونها في مرحلته التاريخية. وإن كان رواد صالون نازلي، مثل صالون مي، كلهم من الرجال، مشاهير العصر.وهذه مفارقة لا يصعب تلمس أسبابها.

٣٤. ينظر: الشبكة العنكبوتية، تحت اسم: طارق حجي.

٣٥. ينظر: الشبكة العنكبوتية: أضواء على الصالونات الثقافية بين الماضي والحاضر.

٣٦. ينظر تقرير قمر سلوم عن محاضرة الباحث عيسى فتوح في موضوع الصالونات الأدبية النسائية – نقلا عن " الثرى " مجلة الكترونية تعنى بحقوق المرأة والطفل في سورية.

٣٧. ينظر: الشبكة العنكبوتية: الصالونات الثقافية ومشروع ابن سمينة، وينظر أيضا: الصالونات الثقافية والمعرفية ودورها في إغناء المعرفة: فراس غصبان الحمداني.

٣٨. يراجع مقال بجريدة المدينة، كتبته حصة المولد (٢٠١٣/٣/٨) منشور على الشبكة العنكبوتية، وينظر أيضا على الشبكة: " منتدى الثلاثاء الثقافي ".

٣٩. نشر مقال ميادة حافظ بصحيفة " الشرق الأوسط " بتاريخ ٢ فبراير ٢٠١٢ – والكاتبة تقدم لمقالتها بما يناقض محتواها إذ ترى أن الصالونات الثقافية في تراجع، وأن الشباب خاصة لا يهتمون بحضورها لتعدد وسائل الإعلام، وتستدل على هذا التراجع بأن أكثرها أصبح شهريا لكن أصحابها يصرون على إقامتها لاقتناعهم بأهميتها كوسيلة للمعرفة.

٤٠. الأخ الأكبر الدكتور يعقوب هو الأقوى صلة بالشيخ محمود شاكر، وقد كتب عن هذه الصلة غير مرة، في كتابه: " قراءة في دفتر قديم " – صدر بالكويت ٢٠١١ – وفي العام التالي ٢٠١٢ صدر له :" قراءة أخرى في دفتر قديم " والكتابان صدرا عن مكتبة الأمل. وفيهما يستعيد ذكرياته ودروسه ذات التوجه التراثي التي تلقاها عن محمود شاكر، ويرويها بإجلال كبير.

تنظر مقالته في صحيفة " الرأي " – العدد ١١٨٨٠ بتاريخ ٢٠١٢/١/١.

٤١. د. يعقوب يوسف الغنيم: الأزمنة والأمكنة – ط٢٠١٣ – المجلد الثالث، ص ٤٤٥. ولا يتصور أن ديوانية الغنيم بدأت في هذا التاريخ المذكور، فهي موجودة مع وجود بيت العائلة نفسه. انظر العبارة من المصدر السابق – ص ٤٤٧.

٤٢. المصدر السابق – المجلد الخامس، ص ٨٥.

٤٣. ليلى مُحَمَّد صالح: مجلة الكويت – العدد ٣٥٣: ٢٠١٣/٣/١٩.

٤٤. أمل الرندي: جريدة الرأي ٢٠١٣/٢/٦.

٤٥. firashamdani@yahoo.com.

٤٦. إقبال المؤمن: الحوار المتمدن – العدد ٣٢٦١ – ٢٠١١/١/٢٩.

٤٧. ينظر: الشبكة العنكبوتية ما كتبت هيا صالح تحت عنوان:في ظل سطوة المدونات الالكترونية.

الصالونات الأدبية: هل هي إلى زوال؟ ٢٨ أغسطس ٢٠٠٨.

٤٨. حسن الكرخي: مجالس الأدب في بغداد – مكتبة النهضة العربية، بغداد ١٩٨٧–ص ١٥،١٤.

٤٩. ومقال مُحَمَّد السموري، بعنوان:الصالونات الأدبية في سورية ٢٠٠٩/١/٢١ – على الانترنت.

٥٠. رشيد الذاودي: مقاهي الأدباء في الوطن العربي – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ ص ١١٧.

٥١. المرجع السابق – ص١٢٢.

٥٢. ينظر كتاب رشيد الذاودي السابق، وينظر أيضا كتاب حسين الكرخي: مجالس الأدب في بغداد – مكتبة النهضة العربية – بغداد ١٩٨٧.

٥٣. مقاهي الأدباء في الوطن العربي – ص ١٢٨، ١٢٩.

٥٤. المرجع السابق – ص ١٢٧ – ١٣١.

٥٥. المرجع السابق – ص١٦٠ – ١٦٨.

٥٦. المرجع السابق – ص١٦٩ – ١٧٢.

٥٧. المرجع السابق – ص ١٧٩ – ١٨٤.

٥٨. المرجع السابق – ص ١٨٧.

٥٩. المرجع السابق – ص ١٨٥.

٦٠. المرجع السابق – ص ١٥٣.

٦١. المرجع السابق – ص ٧٢.

٦٢. عباس محمود العقاد (١٩٨٩ – ١٩٦٤) يقول عنه الزركلي: إمام في الأدب من المكثرين كتابة وتصنيفا مع الإبداع، ولد ونشأ في أسوان، ولم يكمل تعليمه. ألف ٨٣ كتابا متنوعة الموضوعات، ما بين الفلسفة، واللغة، والتراجم، كما يعد من شعراء ونقاد زمانه الذين حظوا بالصدارة.

٦٣. أشارت دراسات مختلفة – بما فيها كتاب أنيس منصور – أنه كانت بين ميّ والعقاد رسائل متبادلة، وأنه حاول أن يتجه برسائله، وقصائده إليها نحو الغزل الاستدراجي، ولكنها كانت تمارس تحفظها بلباقة تعيده إلى الكياسة والتزام حد الصداقة.

٦٤. نعتمد على طبقة دار الشروق: القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٩٣، أما الطبعة الأولى للكتاب فقد صدرت عام ١٩٨٣، أي أنه صدر بعد رحيل العقاد بعشرين عاما، وربما رحيل كثير من الأسماء التي أشار إليها في علاقتها بالعقاد.

٦٥. كأن يقول أنيس منصور عن نفسه أنه قام بتدريس الفلسفة في الجامعة، ولا يبالي أن يقول أنه كان أستاذا بالجامعة. والمعروف أنه لم يحصل على درجة الماجستير بما يعني أنه كان " معيد " وأنه استقال أو فصل من الجامعة قبل أن يحصل على درجة أعلى من ليسانس في الفلسفة!!

٦٦. هناك سبب إضافي لما ضقت به من انفراد العقاد بالحديث، وهو ما ظننته من استهانته بالحاضرين، إذ كان يرتدي بيجامة وكان يدخل يده تحتها. أشرت إلى هذا في كتاب: "جرّة قلم"– دار قباء بالقاهرة ٢٠٠١ – ص ١٢١ بعنوان " العبقرية والبيجاما " ولكن كتاب أنيس منصور اعتذر للعقاد أنه كان يشكو مرضا في القولون.

٦٧. هذه الأسباب الأخرى هي ما أشرت إليه من عبث يد العقاد تحت ثيابه، بالإضافة إلى " الأذى " الذي تعرضت له من بعض مريدي العقاد، بخاصة أنني كنت – ولا أزال – أرى أن العقاد بالنسبة لشوقي، كان حاسدا أو مكابرا، ولم يكن ناقدا.

٦٨. في صالون العقاد – ص٢٠.

٦٩. في صالون العقاد – ص ٢١.

٧٠. في صالون العقاد: ص٢١ ومما يستلفت النظر أن أنيس منصور عاش بعد العقاد أربعين عاما (توفي العقاد١٩٦٤ وتوفي منصور٢٠١١) ولم تنشر هذه المذكرات!!

٧١. في صالون العقاد: ص ٢٣.

٧٢. في صالون العقاد: ص ٤٠.

٧٣. في صالون العقاد – ص ٢٩ – فليس مصادفة إذا إن جميع من عرفناهم عن قرب ممن كنا نطلق عليهم أو يحبون أن يعرفوا بأنهم تلاميذ العقاد كانت فيهم هذه " القدرة " على الاستهانة بمخالفيهم وتجريحهم وإرهابهم بالكنايات البذيئة. ويضيف أنيس (ص٣٠) إلى العقاد أن الدكتور مُحَمَّد حسين هيكل باشا قد اصطدم به في إحدى غرف المجمع اللغوي، فقال له هيكل باشا: حاسب يا أستاذ! فأجابه: كيف أحاسب وأنا لا أراك؟! ويفسر أنيس هذه الإشارة الخشنة بأن هيكل باشا كان قصير القامة!!

وانظر أيضا سخريته وتجهيله لمن أسمى ابنه " مرسي " – (ص ٣٠) وانظر كذلك ما اتهم به طه حسين وتوفيق الحكيم وتعليل غيابهما عن بعض اللجان أو المجالس (ص٣١).

٧٤. ينظر حديث عثمان أمين (في صالون العقاد) ص ٤٠٧ – ٤١١. وقد حدثني أستاذي المغفور له مُحَمَّد غنيمي هلال، وكان أستاذا جامعا للثقافات، أنه حضر ذات مرة صالون العقاد، وأنه (فوجئ) بأن العقاد يقوم وحده بالحديث، ويجيب

وحده فورا على أي سؤال لرواد الصالون مهما كان موضوع السؤال، وأنه – الدكتور غنيمي – لاحظ انحرافا أو قصورا في إجابة بعض ما يتصل بالأدب الفرنسي (والدكتور يحمل درجة دكتوراه الدولة من السوربون، ويجيد ست لغات حية) فرفع كفه ورآه العقاد فأذن له في الكلام. فعلق العقاد قائلا: الأمر كما ذكر الدكتور. فلما تكرر الصنيع نفسه تجاهله قليلا ثم منحه حق الكلام، فتقبله بامتعاض دون تعليق، ولكنه دأب – في فيما بقي من وقت الصالون أنه كلما أجاب عن سؤال أردفه بعبارة تحمل رائحة اللوم والتهكم: أم أن الدكتور له رأي مختلف!! وكان هذا قمينا بأن يلزم الصمت فيما بعد!!

٧٥. في صالون العقاد – ص ١٠، ٤٣٢

٧٦. ينظر خبر ابنة العقاد في كتاب أنيس منصور – ص ١١٥. وقد حدثني الأستاذ مُحَمَّد خليفة التونسي، وكنا في الكويت (كنت مدرسا بالجامعة وكان يعمل بوزارة الإعلام – بمجلة العربي) أن العقاد كان أنجب هذه الفتاة، وكان متعلقا بها جدا، وكانت الفتاة أشد تعلقا بأبيها، وقد وعدها بأنه سيعترف ببنوتها، وأنها رضيت منه هذا الوعد، وعرفها أن درج مكتبه يحوي جميع وثائق الاعتراف بها ابنة له. ويذكر أنه يوم وفاته عادت الفتاة من مدرستها وقصدت بيت أبيها فوجدت نساء يرتدين السواد فأدركت أنه توفى، فاتجهت توا إلى الدرج الذي حدده لها، فوجدته خاليا من أية أوراق، فقذفت بنفسها توا في " بئر السلم " – هذا ما حكاه لي التونسي، ورواية أنيس منصور لا تختلف عن هذا كثيرا،ففاجعة موت الفتاة حدثت عقب وفاة العقاد،وفي بيته!!

٧٧. مناسبة هذا الهجاء وتحفظ طه حسين في قبوله في كتاب أنيس منصور ص ٢٦٦، ٢٦٧.

٧٨. ينظر كتاب " في صالون العقاد " ص ١٣٥ – ١٣٨ وما ورد بها من أشعار وتعقيبات صادقت وصف العقاد لهذه الأشعار، وما ذكر حول رواية " سارة ".

٧٩. في صالون العقاد – ص ١٥٢ – ١٥٥.

٨٠. نشرت هذه الدراسة بمجلة البيان التي تصدرها رابطة الأدباء في الكويت (عدد يناير ١٩٧٢) والطريف أنني حين التقيت بنجيب محفوظ وجاء ذكر " المرايا " لم يستهجن وصفها بأنها " كناسة الدكان "، قال: لقد أصبت في الوصف، فهذه الشخصيات بقايا " دوسيهات " كنت أعدها لروايات ولم أجد لها مكانا فحشدتها في هذا الشكل!! مع هذا كنت شديد الإعجاب برسمه لشخصية الدكتور الأستاذ الجامعي ماهر عبد الكريم، وما لبث صالونه الذي انتقل معه من القاهرة القديمة إلى مصر الجديدة، وكان موئلا للنابهين والشرفاء من طلابه وزملائه.. ما لبث أن أخذ موقعا في ذاكرتي،التي استدعته وفرضته صورة زاهية لصالون الأستاذ الجامعي.

٨١. رواية المرايا – مكتبة مصر (د. ت) – ص ٢٨٢.

٨٢. كثيرا ما يعول محفوظ على أسماء الأشخاص لتقريب طبائعهم، مثل محجوب عبد الدايم، ومأمون رضوان في " القاهرة الجديدة "، ومثل: صابر سيد سيد الرحيمي في " الطريق " إلخ، وقد يوظف الملامح الجسمية في بعض الحالات، وقد تطرقنا إلى هذا في كتاب: " الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ ".

٨٣. رواية المرايا – ص ٢٨٦.

٨٤. المصدر السابق نفسه.

٨٥. ترجم هذا الفضل أحمد الخميسي، تحت عنوان: " الإنتلجنسيا المصرية في رواية المرايا " وضمها في كتاب جمع عدة دراسات أخرى في كتاب واحد، عنوانه: " نجيب محفوظ في مرآة الاستشراق السوفيتي " – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ٢٠١١، أما الدراسة الخاصة بالمرايا فهي من ص ١٨٥ إلى ص ٢٣٤.

٨٦. نجيب محفوظ في مرآة الاستشراق السوفييتي ص ١٩١.

٨٧. المرجع السابق – ص ٢٠١، ٢٠٢.

٨٨. المرجع السابق – ص ٢٠٣.

٨٩. المرجع السابق – ص ٢٠٢.

٩٠. رواية المرايا ص ٣.

٩١. رواية المرايا – ص ١٣، وانظر أيضا الصفحة السابقة، واللاحقة.

٩٢. رواية المرايا: ص ٨٥ وانظر أيضا ما كتب عن هذه الصداقة في مرآة صادق عبد الحميد – ص ١٥٠.

٩٣. رواية المرايا – ص ١٠٠.

٩٤. رواية المرايا – ص ١٠١.

٩٥. رواية المرايا – ص ٢١٨.

٩٦. رواية المرايا – ص ٢٣١.

٩٧. سوزان طه حسين: " معك " – ترجمة بدر الدين عرودكي – دار المعارف بمصر ١٩٧٩ – ص ٢٦٥.

٩٨. المصدر السابق – ص ١١٩.

٩٩. المصدر السابق – ص ١١١.

١٠٠. المصدر السابق – ص ١٢٦.

١٠١. المصدر السابق – ص ١٢٧.

١٠٢. مُحَمَّد حسن الزيات: ما بعد الأيام – دار الهلال، القاهرة (د. ت)–ص ١٨٩.

١٠٣. المصدر السابق – ص ٢١٧.

١٠٤. المصدر السابق – ص ٢٠٧، ٢٠٨.

١٠٥. أنيس منصور: " في صالون العقاد كانت لنا أيام " – ص ٢٤٠ – ٢٥١.

١٠٦. المصدر السابق – ص ٢٤٤.

١٠٧. المصدر السابق – ص ٢٤٤، ٢٤٥.

١٠٨. ينظر: الثقافة من منظور دارويني – تحرير روبرت أونجر – ترجمة شوقي جلال – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ٢٠٠٥ – ص ٧ – ٢٢.

١٠٩. ينظر: الجماعات البؤرية – تأليف دافيد ستيوارت وآخرين – ترجمة راقية جلال الدويك – المركز القومي للترجمة – القاهرة ٢٠١١، وقد تناول الكتاب الجماعات البؤرية من حيث إفادتها للباحثين الاجتماعيين والنفسيين، ولكننا ننظر إليها من الجهة المقابلة، فالجماعة البؤرية تعمق تأثير التواصل الجماعي وأنماط التفاعل الاجتماعي، فالجماعات البؤرية ليست مجرد وسيلة للعلاج الجماعي، (وهذا مهم أيضا) ولكنها أداة ترابط في اتجاه الوعي الجمعي – ينظر المرجع ص ٢٤ – ٢٦.

١١٠. ينظر: العلاج المعرفي:الأسس والأبعاد – ترجمة طلعت مطر – المركز القومي للترجمة – القاهرة ٢٠٠٧ – ص ١٧ – ٣٠.

١١١. ينظر كتابه: " عصر المعرفة والمكتبات " – المجلس العلى للثقافة – القاهرة ٢٠٠٨ – ص ٨٢.

المراجع

أولا: أهم المراجع العربية

١. أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية: محمود علي مكي وآخرون – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٠.

٢. الأدب المقارن – مُحَمَّد غنيمي هلال – مطبعة نهضة مصر – ١٩٧٧.

٣. الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي – تحقيق وتقديم: مرسل فالح العجمي – دار سعد الدين – دمشق – ٢٠٠٥.

٤. المرايا (رواية) نجيب محفوظ – طبعة خامسة – مكتبة مصر – ١٩٨٠.

٥. أهمية أن نعرف: مُحَمَّد حسن عبدالله – دار قباء – القاهرة ٢٠٠٦.

٦. جرة قلم: مُحَمَّد حسن عبدالله – دار قباء – القاهرة – ٢٠٠١.

٧. عصر المعرفة والمكتبات: مُحَمَّد فتحي عبد الهادي – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ٢٠٠٨.

٨. في صالون العقاد كانت لنا أيام: أنيس منصور – دار الشروق – طبعة ثالثة – القاهرة – ١٩٩٣.

٩. مجالس الأدب في بغداد: حسن الكرخي – مكتبة النهضة العربية – بغداد – ١٩٨٧.

١٠. مجالس العلماء والأدباء والخلفاء مرآة الحضارة العربية الإسلامية: يحيى وهيب الجبوري – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ٢٠٠٦.

١١. مقاهي الأدباء في الوطن العربي – رشيد الذاودي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٩.

١٢. مقدمة في النقد الأدبي: محمد حسن عبدالله – دار البحوث العلمية – الكويت – ١٩٧٥.

ثانيا: المراجع الأجنبية المترجمة إلى العربية

١. الثقافة من منظور دارويني: روبرت أونجر – ترجمة شوقي جلال – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ٢٠٠٥.

٢. الجماعات البؤرية: دافيد ستيوارت وآخرين – ترجمة راقية جلال الدويك – المركز القومي للترجمة – القاهرة – ٢٠١٣.

٣. بناء الواقع الاجتماعي: جون ر. سيرل – ترجمة وتقديم حسنة عبد السميع – المركز القومي للترجمة – القاهرة – ٢٠١٢.

٤. تفسير السلوك الاجتماعي: جون إلستر – ترجمة معتز سيد عبدالله – المركز القومي للترجمة – القاهرة – ٢٠١٢.

٥. العلاج المعرفي: الأسس والأبعاد: جوديث بيك – ترجمة طلعت مطر – المركز القومي للترجمة – القاهرة – ٢٠٠٧.

٦. نجيب محفوظ في مرآة الاستشراق السوفييتي – ترجمة أحمد الخميسي – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ٢٠١١.

ثالثا: المراجع باللغة الإنجليزية

وهي جميعها تعود إلى الدراسة التي نشرتها ويكيبيديا، والفقرات المقتبسة، محددة بهذه المراجع:

1. Elias, Norbert, (Trans. Edmund Jephcott), The Civilising Process: The History of Manners, Vol.1 (Oxford: Basil Blackwell, 1978).

2. Goodman, Dena, The Republic of Letters: A Cultural

History of the French Enlightenment (Ithaca: cornell University Press, 1994).

3. Goodman, Dena, Enlightenment Salons: The Convergence of Female and Philosophic Ambitions, Eighteenth-Century Studies, Vol.22,No.3, Special Issue: The French Revolution in Culture (Spring, 1989), pp.329-350.
4. Kale, Steven, French Salons: High Society and Political Sociability from the Old Regime to the Revolution of 1848 (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2006).
5. Habermas, Jürgen, (trans. Thomas Burger), The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society (Camb., Mass.: MIT Press, 1989).
6. Harth, Erica, Cartesian Women: Versions and Subversions of Rational Discourse in the Old Regime (Ithaca: Cornell University Press, 1992).
7. Landes, Joan B., Women and the Public Sphere in the Age of the French Revolution (Ithaca: Cornell University Press, 1988) ;
8. Lougee, Carolyn C., Le Paradis des Femmes: Women , Salons and Social Stratification in Seventeenth Century France (Princeton: Princeton University Press, 1976).
9. Lilti , Antoine, Sociabilité et mondanité: Les homes de letters de letters dans les salons parisiens au XVIIIe siecle, French Historical Studies , vol. 28 , No.3(Summer 2005), P.415– 445.
10. Pekacz, Jolanta T., Conservative Tradition In Pre-Revolutionary France ; Parisian Salon Women (New York: Peter Lang , 1999).

11. Roche, Daniel , (Trans Arthur Gold hammer), France in the Enlightenment, (Cambridge, Mass.: HUP , 1998).

رابعا : الفقرات المنقولة عن الشبكة العنكبوتية

وقد أشير مع كل فقرة إلى مرجعها الالكتروني.

القسم الثاني

الصالون الثقافي: صور قلمية ووثائق

١. صورة كاريكاتورية لما كان يجري أحيانا في صالون العقاد، ويعبر عن مستويات التداخل بين الأستاذ وتلاميذه.

٢. صورة واقعية لحرية الفكر، وعمق الرؤية، ودقة الملاحظة، وهي قسمة بين الأستاذ، وبعض رواد صالونه.

٣. ساقية الصاوي: صورة حاضرة بجهود خاصة.

٤. صورة نموذجية لمثقف الصالون كما يراه الدكتور يعقوب الغنيم.

٥. منتدى القيمة المضافة: طارق العبد الغفور – الكويت.

٦. الصالونات الثقافية في المملكة العربية السعودية .

٧. ثلاث صالونات سعودية.

١- فشل الحب وحب الفشل!

[صورة كاريكاتورية لما كان يجري أحيانا في صالون العقاد، ويعبر عن مستويات التداخل بين الأستاذ وتلاميذه]

* * *

بدأ كل شيء دردشة. كلمة من هنا ورد عليها من هناك.. وأحيانا تكون الكلمات مثل ضرب الطوب، وأحيانا تكون مثل قزقزة اللب.. نسمعها ولا قيمة لها. أو نراها ولا هدف لها. وكان الوقت يمشي ثقيلا.. كأنه مقشة تزحف على الأرض وتثير غبارا.. ولو اتجهت هذه المقشة إلى إزالتنا نحن أيضا، لما اعترض أحد على ذلك.. وقد رأيت واحداً من الجالسين يتثاءب مع أنه لم يمض على لقائنا سوى نصف ساع. ووجدت من ينظر إلى ساعته، رغم أن الأستاذ كان يتحدث في السياسة والتعليق على ما جاء في الصحف، وعلى المقارنة بين د. على إبراهيم الجراح الشهير وأطباء آخرين..

وفي كل مرة يتحدث فيها الأستاذ عن الأطباء، يشير إلى رجل قصير القامة نحيف امتلأت عيناه بالحيوية والحيرة. فقد عيناه.. وله شفتان مستديرتان.. كأنهما شفتا طفل.. كأنه يريد أن يبعث بقبلة في الهواء، ولم يجد أحدا!. إنه د. إبراهيم ناجي الطبيب الشاعر الرقيق. ولكنه لم يشأ أن يرد بكلمة عن كل الذي قيل نقدا وهجوما عنيفا على الأطباء. وكان الأستاذ يتنقل بنظراته بين الحاضرين، فلم يجد واحدا يحادثه أو يبارزه..

ثم قال: ما رأيك يا سيد حمام!..

إنه الشاعر اللطيف مُحَمَّد مصطفى حمام. وهو رجل كبير الرأس كبير الكرش منفوخ العينين. ليس في حاجة إلى أن يضحك لأي سبب، فهو دائم الضحك جاهز النكتة، وله قدرة هائلة على تقليد الأصوات. فكان يقلد مصطفى النحاس باشا وهو يخطب، وإبراهيم باشا عبد الهادي، والصحفي الكبير توفيق دياب صاحب جريدة " الجهاد ".. وكان بعضنا يضحك لذلك – أي هؤلاء الذين يعرفون أصحاب هذه الأصوات. وكان الأستاذ يطلب إليه أن يؤذن وأن يقرأ القرآن فيقلد صوت الشيخ رفعت والشيخ علي محمود وغيرهما.. وأغرب من ذلك أنه كان يقلد الأستاذ نفسه في الحديث وفي الغضب وفي السخرية..

ولم نر الأستاذ يضحك بهذه القوة حتى نزلت الدموع من عينيه إلا هذه المرة. فقد جلس الأستاذ حمام ووضع يده اليسرى في داخل البنطلون. كما يفعل الأستاذ، وقال في صوت الأستاذ ونبرته وملامح وجهه، وبالغ في القرف على شفتيه والغضب في عينيه: إن الطريق إلى السماء صعب. ولا يوجد طريق لا يمر بهذا البيت. وأنا لا أبرح هذا البيت، إذن فكل طريق إلى السماء يجب أن أدري به. وإذا دريت به وضعت له القواعد والأصول، ولا توجد قواعد لا تتفق مع عقلي، وما في عقلي هو في عقل الله أيضا.. لأن الحكمة الإلهية واحدة، وما دامت واحدة فإن الذي أراه صوابا هو ما يراه الله أيضا.. ولو جاءني واحد من الملائكة وأنكر ما أقول أو خالفني فيه فعندي تفويض إلهي بأن أضع أصابعي في عينيه لأنه كافر بالله الذي وضع المنطق في عقلي. ومنطقي ليس إلا علامات المرور في كل طريق من الأرض إلى السماء.. ولذلك يا مولانا...

ولم يكمل. فقد تعالى الضحك والتصفيق للأستاذ مُحَمّد حمام. وكان الأستاذ أكثرنا ضحكا. وطلب إليه أن يعرض أمثلة أخرى. وطلبنا نحن أيضا. فاعتدل الأستاذ حمام وراح يفكر بسرعة، ثم وضع طربوشه في مقدمة الرأس، وظهر القرف على وجهه، وقال ضاحكا: لتكن أنت طه حسين وأنا الأستاذ العقاد. وأشار إلى الشاعر الرقيق صالح جودت. فهو شاب أسمر اللون نحيف. وهو الآخر له رأس قد خف شعره وثقل وزنه على الكتفين. فهو يلقي برأسه إلى الوراء قليلا. ثم يتركه هكذا دون أن يحركه حتى عندما يضحك. وله عينان واسعتان حالمتان لامعتان. ولا يرفع السيجارة من شفتيه. وكان يتابع الأستاذ حمام دون دهشة. كأنه يعرف كل ما قال وما سوف يقول، ولما أشار إليه الأستاذ حمام قال له صالح جودت: لا. بل أفضل أن تقلد طه حسين.. حكاية المركوب يا حمام..

قال الأستاذ حمام: إذن فأنت تريد مني أن أقلد طه حسين.. سوف أقلد لكم طه حسين.. وأخرج منظارا أسود من جيبه. وهبط برأسه قليلا. ومده إلى الأمام. وقال: إذا كنت راكبا حمارا، فأنا راكب والحمار مركوب. ولما كان المركوب هو الذي نلبسه في القدم، ولما كان راكب ولا الحمار مركوب.. ولا عرف أبو العلاء هذا النوع من المراكيب.. فهناك أكثر من مركوب. فالمركوب الذي يلبس في القدم، من الجلد الميت.. ولما كان الحمار له جلد ليس ميتا، ولما كانت له أربع أرجل وذيل وأذنان.. فلم يعرف أبو العلاء هذا النوع من المراكيب.. إذن فأي أنواع المراكيب كانت شائعة على ايام أبي العلاء؟

وتضاحك الحاضرون جميعا. وكان الأستاذ عالي الضحك، وكان

الأستاذ عبد الرحمن صدقي يضحك ويقف، ثم يجلس ويقف ويقول: تماما كما لو كان طه حسين هو أحد هذين المركوبين! ها ها.. ها ها.

ولم يضحك أحد لهذه العبارة الغليظة!!

وعاد الأستاذ حمام يقول: لو أن الأستاذ العقاد هو الذي يريد أن يتكلم عن المركوب لقال.. وعاد الأستاذ حمام إلى هيئ العقاد في وضع اليد والجلسة والطربوش ومعالم القرف والجدية والتعالي والغرور والنظر بعيدا عن كل الحاضرين، ثم يجيء الكلام من حنجرته وليس من شفتيه. يقول الأستاذ حمام: لقد جاء وقت على العرب لم يكونوا يفرقون فيه بين أن يركب الإنسان حمارا وأن يركب حذاء أو برطوشة قديمة. ولذلك وجدنا في القاموس كلمة واحدة للحمار والبرطوشة. وهي كلمة: مركوب. وفي دليل على عبقرية اللغة العربية واختلافها عن بقية اللغات السامي. الإنسان عندما يركب حمارا، فإنه يعلو عن الأرض، وعندما يركب البرطوشة فإنه هو والبرطوشة يكونان ملاصقين للأرض. فإن ركوب البرطوشة أكثر دلالة على الركوب. لأن الحمار يعلوا براكبه عن الأرض. ويحمل العبء كله.. أما البرطوشة، وهي تحمل صاحبها أيضا. فإنها لا تبعد عن الأرض. إنما تجعل الأرض شريكا في هذا العبء. ولذلك فقد عرف الإنسان الواقعية والقرب من الأرض يوم تعلم لبس البرطوشة. وكان مبالغا مسرفا عندما ركب الحمار وأكل فوق ظهره. وحمل أولاده وزوجته أمامه ووراءه، وليس من قبيل الصدف أن نجد الفراعنة في الأسرة العشرين يمشون حفاة. فلا هم ركبوا الحمار، ولا هم ركبوا البرطوشة.. إنما التحموا بالأرض. وفي اللغة الفرعوني لقديمة: أن الالتحام معناه أن يأكل الإنسان اللحم. وأن

يركب البراطيش.. ولذلك قويت أسنان الفراعنة. ولم يعرفوا طبيب الأسنان.. وفي كتاب.. نقرأ أن واحدا من الأرواح عندما ذهب إلى عالم الموتى، وجد الآلهة علقت أحد المجرمين على الحائط. لم يعلقوه من حبل تدلى من السقف. إنما وضعوه على الحائط. وفي ذلك إشارة إلى أن هذا الرجل إما كان برطوشة.. وإما أنه كان صانعا للبراطيش.. وإما أنه كان جزارا.. والرأي عندي أنه كان واحدا من حزب الوفد له خال أو عم شيوعي.. فرأسه مثل القوالب الخشبية التي يشعونها في الأحذية لتجعل مشدودا.. فإذا أصبحت مشدودة أخرجوا منها القوالب.. وضع الشيوعيون رءوسهم فيها.. وليس غريبا أن الشيوعي تروتسكي عندما ألقوا القبض عليه أمسك الحذاء في يده وهددهم.. إنه لم يهددهم – إنما الحذاء هو أحد الشعارات الشيوعية.. ولما كان الشيوعيون يمشون على رؤوسهم أي على عقولهم، أي على أفكارهم.. فرءوسهم تحت، وأرجلهم فوق.. ولما كان الشيوعيون حريصين على رأس الفكر وليس رأس المال، فإنهم يضعون رءوسهم في أحذية فلسفية.. في براطيش مذهبية.. ولو نظر واحد منكم إلى الطريقة التي يرتدي بها النحاس باشا طربوشه. وكيف إن الزر والطربوش يتحركان يسارا دائما، لأدرك أن هذا الرجل إن لم يكن شيوعيا، فلديه ميل طبيعي لذلك.. وشوقي شاعر الخديو.. ها ها.. ها ها.. ها ها..

كان الأستاذ أكثر الحاضرين ضحكا متواصلا، وكثيرا ما قاطع الأستاذ حمام.

وبعد ذلك راح يقلد النحاس باشا وخطبه المعروفة في ذلك الوقت.. ولا أذكر أنني استمعت إلى واحدة منها.. ولكن استمعت عرضا إلى ما

يذيعه الراديو.. قال حمام وقد دفع طربوشه إلى الوراء.. ووقف وسوى الجاكتة. ونظر حوله بانفعال وقال: أين مكرم؟..

يقصد مكرم عبيد.. الشخصية الثانية في حزب الوفد..

وعاد الأستاذ حمام يقول: اسم يا مكرم.. أين فؤاد؟

يقصد فؤاد باشا سراج الدين نجم الوفد الساطع اللامع.. وعاد الأستاذ حمام يقول: كلهم موجودون.. ولقد مررنا بالقطار على المدن التي بها محطات والمدن التي ليست بها محطات، وعلى المحطات التي بها قطارات، وعلى القطارات التي لا تقف في المحطات.. وعلى المحطات التي تزاحم فيها الناس سيهتفون بحياة زعيمهم المفدى صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا زعيم الشعب غير منازع.. وعلى المحطات التي تزاحم فيها الناس وبحت حناجرهم فلم يتمكنوا من الهتاف لنا.. ولكن همساتهم كانت مثل الرعد والبرق، وقد انتقلت من قلوبهم إلى قلوبنا.. بل انتقلت قلوبهم إلينا.. وسوف تعمل حكومتي على تركيب قلوب صناعية لكل هؤلاء المواطنين الشرفاء، حتى تتمكن حناجرهم من الهتاف لنا عد عودتنا من الإسكندرية إلى القاهرة في معية صاحب الجلالة الملك فاروق الأول حفظه الله ليبقى في الحكم إلى أبد الآبدين.. تصفيق.. تصفيق حاد.. أين مكرم؟ أين الهلالي؟ موجود.. أين فؤاد؟ أشعل سيجارك يا فؤاد فقد انطفأ.. أنا أعرف جيدا الولد الذي يبيع لك الكبريت.. إنه من الهيئة السعدي. أعرفه.. أمسكوه.. تصفيق حاد..

وبعد ذلك راح يقلد صوت إبراهيم باشا عبد الهادي. وكان صوته نحيفا أو نحيلا كما يقول طه حسين.. وكان يضغط على الحروف ويخرجها بالتوازي من الأنف والحنجرة في وقت واحد.. ولذلك فصوته خليط من القوة والنعومة. ومن العصبية والغنائية. وكان أنيفا، فالأستاذ حمام قد وقف واستند يديه إلى المقعد الذي دفعه أمامه. ثم زرر الجاكتة وأخرج منديلا من جيبه. وتلفت حوله في أناقة وثقة بالنفس!

وفجأة سكت الجميع

لقد استهلكنا الأستاذ حمام الذي يبدو أنه اعتاد على إشاعة المرح في كل مكان.. وعرف متى يتكلم ومتى يسكت.. ومتى يجلس ومتى ينهض، فقد نهض في نفس اللحظة التي فيها نريد منه أكثر. وعندما وقف الأستاذ حمام بدا ممتلئا وبدت كرشه رجراجة. وبدت جيوبه منتفخة بالأوراق والمناديل والملبس والشيكولاتة الصغيرة، وانحنى على يد الأستاذ. وتبعه صالح جودت وإبراهيم ناجي. ولكن الأستاذ استوقف واحدا بحفاوة شديدة، وطلب إليه أن يبقى لأنه يريد أن يتحدث إليه. ولكن الرجل لم يشأ أن يرد بكلمة واحدة، ولم يجد الأستاذ بدا من أن يقول له: أريد أن أراك يا شكري.. إنه إذن الشاعر عبد الرحمن شكري..

* * *

[نقلا عن كتاب " في صالون العقاد كانت لنا أيام " ص: ٣٧٠]

٢- لست سعيدا وأنت السبب!

[صورة واقعية لحرية الفكر، وعمق الرؤية، ودقة الملاحظة، وهي قسمة بين الأستاذ، وبعض رواد صالونه]

* * *

تحسنت صحة الأستاذ العقاد. وكان أكثر مرحا. ولم نكن كذلك. وقد جلسنا حول سريره، وكنا أقرب إلى السرير كأننا أردنا أن نحاصره، أو نتوهم ذلك. وكنا جاهزين للمناقشة. فلن يكون هناك جديد لا نعرفه. ولن تكون هناك مفاجأة. فكل ما سوف يقال، قلناه لأنفسنا. ,اشرنا إلى واحد منا أن يتكلم. وكان زميلنا هذا يشكو من البرد. وكان ملتهب الأنف والعين والحنجرة فأخرج منديلا من جيبه. ولم يكد يصل المنديل إلى شفتيه حتى ألصق المنديل وسد فمه ولم ينطق بكلمة. ولكن الذي نطق هو الأستاذ ونظر ناحيتي وقال: أيكم الشيوعي؟

فقال أحدنا: أنا.

وقال: أيكم الوجودي؟

فقلت: أنا.

وقال: أيكم الملحد؟

فقلنا: هو.

وأشرنا إلى صاحبنا الذي ما يزال المنديل ملتصقا بفمه، ثم عطس.. وعطس.. وخرج من الغرفة ليعود بعد لحظات.. ويبدو أنه كان في نية

الأستاذ أن يعلق على أن يكون المصاب بالزكام هو الملحد الوحيد بيننا. ثم عاد يقول: وأيكم المسيحي؟

فقال أحدنا: أنا.

وعاد يسأل: وبينكم واحد بهائي؟

قلنا: نعم.

وسأل: أين هو؟

قلنا: سوف يجيء، فاليوم عندهم صلاة. والمحفل البهائي ليس بعيدا من هنا. ولكنه حريص على أن يشترك في المناقشة.. وكان المفروض أن يكون أول المتحدثين.

ثم التفت الأستاذ وتساءل: والأخت؟

وكانت زميلة لنا قد درست الفلسفة. وتخصصت في الفلسفة الهندية وعاشت مع والدها سنتين في الهند والصين واليابان. وهي تحسن الكلام بإحدى اللغات الهندية. وكانت هذه زيارتها الأولى للأستاذ. هل كان من الخطأ أن تجيء في هذا اليوم؟ هل نحن مسؤولون عن أنها لم تحسن اختيار ملابسها؟ لقد ارتدت القميص والبنطلون، وكان شعرها قصيرا. ثم إنها استأذنت الأستاذ في أن تدخن. ولما أذن لها وضعت ساقا على ساق. هل كان من الضروري أن ننبهها إلى أن طريقتها في النظر إلى عيون الناس تضايق الناس؟ هل كان في استطاعة أي واحد منا أن يطلب إليها أن تكف عن النظر إلى كل شيء في الغرفة، حتى لا تكون نظرتها هذه نوعا من

الإدانة أو الاتهام؟ هل كانت مظاهر القرف على وجهها، حكما نهائيا على أن الأستاذ وبيته وحياته تبعث على القرف، وأنه ليس النموذج الذي يجب أن يحتذيه كل الشبان؟ هل معنى ذلك أن أملها قد خاب فينا، وأنها فضحتنا جميعا، فلم يبهرها الأستاذ كما بهرنا؟

يبدو أن هذا ما انتهت إليه في لحظات. ولما سألها الأستاذ قالت: أنا يا أستاذ.. لا شيء..

فقال ضاحكا: عدم.. هل أنت عدم؟

ولم ترد. فعاد الأستاذ يقول: إذن فأنت نصف الفلسفة الوجودية.. فالوجودية نصفها كلام عن الوجود، والنصف الثاني عن العدم. بل إن العدم أهم من الوجود عند هؤلاء الوجوديين.. اسأليه!

وأشار ناحيتي. وضحك الأستاذ وحده ولم نضحك. ولم تهتز هذه الزميلة، إنما وضعت السيجارة في فمها، وتركتها طويلا، ثم أخرجت دخانا بطيئا من أنفها ومن فمها. هل أخفت ضيقها فيما نفثته من الدخان؟ وتضايقنا جميعا من هذا السلوك الذي لم نكن نتوقعه، فهي فتاة لطيفة. ليست جميلة. ولكنها مهذبة رقيقة. فما الذي أصابها؟ لماذا اتخذت موقف التحدي من الأستاذ وفي بيته، وعلى مسمع ومرأى منا؟

وهمس في أذني واحد من الزملاء: ما رأيك؟ هل أخرجها من هذه الغرفة؟ إنها قليلة الأدب! ثم خرج الزميل من الغرفة. وناداني. وسارعت إليه ووجدته غاضبا ثائرا: ما هذه الوقاحة؟ من الذي أتى بها؟ لابد أن نلقي بها خارج البيت حالا.

ولم أقتنع. ولا وجدت ذلك مناسبا. ودخلنا معا، ومن ورائنا دخل زميلنا البهائي. واعتذر عن التأخير. وقال للأستاذ: أستاذنا العظيم. أرجو أن تكون قد قلت شيئا أندم على أنني لم أستمع إليه..

ثم نظر إلينا. لنقول له: إن الأستاذ لم يتكلم بعد.

فأسعده ذلك. وجلس قائلا: استأذنا.. إن صحتك اليوم أحسن.. ولو كنت في مكانك يا أستاذ لرفضت مقابلة هؤلاء الغجر، واكتفيت برؤية هذه الفتاة الجميلة التي تختلف معنا في كل شيء.. فلا يعجبها ما نقرأ ولا ما نكتب.. وربما لا يعجبها أن تجيء إليك.. فهي تجد السعادة كلها بالقرب من رجل هندي يمشي نصف عريان..

وقاطعه الأستاذ ضاحكا: هل لهذه الأسباب جاءت ربع عريانة؟!

وبسرعة نظرنا إليها، فقد كانت عارية الذراعين فقط، أما بقية جسمها فقد تغطى ببنطلون محزق.

ومضى زميلنا البهائي يقول: ولكنها من الناحية النفسية ثلاثة أربا ع عريانة.. إن لم تكن عارية تماما.. وأنا آسف إذا كنت قد تحدثت بالنيابة عنها، فهي قادرة على أن تعبر عن نفسها بخمس لغات.. في وقت واحد فلسانها طويل جدا، وأنا أجد صعوبة في التفاهم معها. وأعتقد أن أكثرنا لا يستطيع ذلك.. ألم تتكلم هي حتى الآن؟

وكأنه لم يقل شيئا، لقد حاول أن يحرك الجمود الذي لاحظه بذكائه السريع. فنحن جالسون وعيوننا وآذاننا عليه. والزميلة ما تزال تنفخ الدخان وتنظر إليه.. تجلس فوق السطوح وليس حولها أحد من الناس..

وكأن الأستاذ ليس ممددا على السرير..

ولكن الأستاذ بسرعة اتجه إليها قائلا: وماذا وجدت في الفلسفة الهندية؟ ما الذي أعجبك أو ما الذي أراحك؟

قالت وهي لم تغير وضعها، ولا رفعت السيجارة من فمها: في الهند كل شيء منسجم، فهم يفكرون ويعيشون دون أن تكون هناك مسافة كبيرة من الفكر والحياة. بل إنه في اللغة الهندية نجد أن التفكير والحياة كلمتان مترادفتان.. فأفكارهم قد التصقت بحياتهم. تماما كما يلتصق الثوب بالجلد، ويكون الثوب بشرة ثانية، فأفكارهم على قدر حياتهم. وحياتهم لا تخرج عن أفكارهم. وأعتقد أن هذا أعظم ما يتمناه المفكر أو النبي.. تماما كما نقول نحن في اللغة العامية في مصر.. فنحن نقول عن الخبز إنه: العيش.. والعيش هو العيشة.. وهذا يدل على أن الخبز حيوي في مصر.. وأنه هو الحياة.. والنقد الذي يوجه للفلسفات المثالية: أنها أفكار بعيدة عن الواقع.. أي أن هناك مسافة كبيرة بين المذهب وأسلوب الحياة. أما في الهند فشيء آخر. والإنسان العادي جدا قد لا يقرأ ولا يفكر.. ولكن حياته العادية فلسفة. إنه يمشي عاريا، لأن الحياة لا تساوي.. ويأكل أي طعام، لأن الطعام ليس هو كل ما في الحياة.. ويجيء الموت فلا يكون مفاجأة له، لأن حياته أقرب إلى الموت.. فقد اختار الموت عندما اختار الحياة، ولذلك فكثيرا ما رأيت الناس في الهند وهم يمشون في الشارع ذهابا وإيابا إلى مكاتبهم، يمشون بهدوء وصمت، كأنهم يمشون في جنازة، مع أنهم يتسابقون إلى العمل.. إلى الحياة..

قال الأستاذ: وماذا أخذت أنت من هذه الحياة الهندية؟

فنظرت بسرعة إلى ملابسها: وبسرعة وضعت ساقا إلى جوار الأخرى. وانتابتها هزة عصبية، وقالت: لا تنظر إلى ملابسي الآن يا أستاذ. فعندما كنت في الهند. كنت أرتدي الملابس الهندية، وكنت لا أكل إلا النباتات، وكنت لا أطيق أن أرى الدم.. ولا أذوق اللحم حتى الآن.. فأنا أرى أن أكل اللحوم وحشية.. كيف يعيش أناس على جثث حيوانات أخرى؟! وأرى أن الحروب قمة الوحشية، غذ كيف يعيش الإنسان على جثة الإنسان؟!.. وأرى أن الزواج وحشية أيضا.. لأنني لم أجد زواجا ناجحا. إنما رأيت رجلا يكذب على امرأة، حتى إذا حملت وولدت اتجه إلى امرأة أخرى.. فتكون النتيجة أن تعيش امرأة معذبة بطفلها، وكل جريمتها أنها صدقت رجلا بارعا في الكذب.. وأرى أن تعدد الزوجات هو جريمة مضاعفة.. وأرى أن المجتمع قائم على النفاق. لأنه يعطي للرجل ما لا يعطي للمرأة، ويسمح للرجل بأن يخطئ كما يشاء، ولا يسمح بنفس القدر للمرأة، حتى لو تساوت معه في التعليم والتوظيف.. وأرى أن طلب الجامعات في مصر نموذج شيء لما لا يصح أن يكون عليه المواطن المثقف.. فهم حائرون. وهم خائفون..

وأشارت إلينا بيديها، ودخان السيجارة يمشي وراء يديها، كأنه مظاهرة رقيقة تؤيد وجهة نظرها..

وابتلعت الدخان ونفخته يمينا وشمالا، واعتدلت لتقول: إنهم في الهند لا يعرفون الحيرة. لقد اهتدوا، لا يعرفون الموت. فالموت نفسه لا يخيف،

والحياة كلها لا تهم، عندما تهون الحياة فلا معنى للموت. وعندما لا يكون هناك خوف من شيء أو على شيء فالهدوء هو طابع الفكر والحياة.. ولذلك فأنا أرى أن الحياة في الهند هي أعظم ما عرف الإنسان من حياة.. وليس صحيحا ما يقال إن الحياة الهندية هي نصف الطريق إلى الموت. بل إن الحياة الهندي هي كل الطريق إلى السلام.. وأدباء الغرب والمستشرقون قد بالغوا كثيرا في وصف حية الرهبان الهنود والصينيين في قمم الجبال.. أن الإنسان لكي يعيش حياته كاملة نقية طاهرة، فلابد أن يهجر الناس. وأن يهرب من المدينة. وأن يتعلق فوق إحدى الأشجار كالقرود. أو ينام فوق إحدى القمم كالنسور.. وهناك وسط من الفراغ الأبدي والصمت الدائم ينعزل وينطوي ويتأمل. وبعض الفلاسفة في الغرب يسمون ذلك " حالة العدم " أو حالة الإعدام أو الانعدام.. وفي اللغة الهندية يسمونها " النرفانا ".. ويقصدون بذلك أن الإنسان ينصب لنفسه مشنقة من: الوحدة والصمت والزهد.. ويتعلق فيها حيا كأنه ميت.. ليس هذا صحيحا. ففي استطاعة الرجل الهندي أن يحقق كل ذلك وهو جالس على الأرض.. على الرصيف.. إلى جوار الحائط.. والإنسان يرى ذلك المنظر القبيح ولا يشعر بعظمة هذا الرجل العريان الفقير الجالس على الطين.. إنه ليس عريانا، إنه اختار من الملابس ما يريد.. وليس فقيرا، لأن الذي يقنع بما عنده ولا ينظر إلى ما عند الناس، هو إنسان غني بنفسه عن الآخرين.. وليس جالسا على الطين، إنما هو مادة تجلس على مادة.. ولا يهم إن كانت الأرض من طين أو من ذهب.. فالذهب طين أصفر جاف لامع.. والطين ذهب أسود لين.. والطين والذهب مادة. والإنسان مادة عاقلة.. فإذا كان هذا الهندي

قد جلس على الأرض فإن العين تقول إنه استقر على الطين – ولكن هذا ما تقوله العين. ولكن العقل يرى أنه جالس على القمة.. وأنه أغنى من الأغنياء. وأنه أقوى من كل ما حوله. لأنه يملك أن يرفض كل شيء، وأن يزهد في أي شيء.. وليس غريبا أن يتجه العالم كله إلى حياة الهنود، ضيقا بحياتهم وراحة من أفكارهم، وتيسيرا على أنفسهم.. ولكن الغرب لا يستطيع أن ينعم بهذه السعادة النفسية.. فليس عندنا وقت لكي نفكر.. وليست عندنا الحرية..لا حرية لي في أن أنشي بملابس هندية، ولا احترام لحريتي عند الناس. حتى أنت يا أستاذ لم تحترم حريتي، ولا زملائي.. لقد استنكروا أن أجيء بالقميص والبنطلون.. ورأيت في عينيك أنك لم تسترح إلى أنني وضعت ساقا على ساق.. وقد شعرت بالحرج أمام عيونكم جميعا. فماذا فعلت؟.. أخرجت علبة السجائر وتوكأت على سيجارة.. وجعلت من دخانها حبالا واهية أتعلق بها.. مع أنني لا أدخن يا أستاذ. وقد أسعدني جدا أنني حبست سعالا مع كل مرة أبتلع فيها الدخان.. فهذه أول سيجارة في حياتي.. ولكن الذي أسعدني أنني طبقت التعاليم الهندية فكتمت السعال مرة بعد مرة.. هذا هو التحكم في الجسم والنفس.. قمة الإرادة وضبط النفس.

ولأول مرة نسمع من الأستاذ مثل هذه العبارة: أحسنت والله يا آنسة أحسنت!

وسكت الأستاذ، ثم اتجه إليها بكل جسمه وقال: إنني لا اختلف معك في شيء كثير. لولا أنني أرى أن الفقير الذي لا يملك إلا الرغيف لا يوصف بأنه زاهد في لحم الديك الرومي.. ولا أرى أن الذي لا يملك إلا

الجلوس على الأرض، زاهد في الجلوس على العرش.. ولا أرى أن الذي لا يجد إلا ثوبا واحدا، زاهدا في ارتداء البدلة " السموكنج ".. فالإنسان يزهد فيما يجد، ولكنه لا زهد فيما لا يجد ولا يملك.. وأنا معك في أن الإنسان ليس في حاجة إلى أن يبعد عن الناس ليكون زاهدا، بل إنه يستطيع أن يكون زاهدا وهو بينهم.. ووجود الإنسان بين الناس، ثم الزهد فيهم، هو الأمر الصعب.. تماما كما يكون الإنسان صائما في رمضان وهو يعمل في أحد المطاعم.. إن وجوده بين المغريات، هو الامتحان الصعب.. ولكني اختلف معك في أن الهنود الذين تتحدثين عنهم هم أمل الفلسفة والدين.. بمعنى أن حياتهم هي أفكارهم. وأن أفكارهم هي حياتهم. لا أظن ذلك. ولكن يمكن أن يقال ذلك على رجل مثل غاندي فقط.. فهو رجل يستطيع أن يرتدي ملابسه كاملة. ويستطيع أن يرتدي حذاء، ولكنه فضل أن يكون عاريا حافيا. واختار أن يجر معزة وراءه.. وهذه الصورة البسيطة لغاندي، هي قمة العظمة الإنسانية.. فهو الذي تجرد من كل شيء. ولكن إذا سار الناس وراءه، فلكي يكرروا مثلهم الأعلى غاندي.. ولكن عامة الناس الفقراء لا عندهم فلسفة ولا عندهم اختيار لهذه الحياة. إنهم يعيشون هكذا، لأنهم لا يستطيعون أن يعيشوا على نحو آخر..

ولكن الأوروبيين إذا كفروا بمذاهبهم الفلسفية والديني والسياسية واختاروا حياة الهنود، فهذا هو النموذج، وهذا هو الاختيار، وهذه هي التحية التي يوجهها الغرب إلى الشرق. وهذه هي إدانة كاملة للحياة الغربية التي تعقدت واضطربت وأصبح أبناؤها لا يطيقونها.. وهذه هي بداية الرومانسية الجديدة.. فالرومانسية القديمة في القرنين الماضيين كانت

تدعو إلى أن يهرب الناس إلى الشرق البعيد، وإلى الحياة البدائية الساحرة، وإلى حياة الغريزة – بعيدا عن حسابات العقل ومنطق الكيمياء والفلك.. ولذلك تخيل الفلاسفة أن تكون المجتمعات النموذجية في جزر بعيدة.. أو أن يعيشوا وحدهم كما عاش روبنسون كروزو في جزيرة نائية.. فظهر شخص اسمه " جمعة " لأن العثور عليه كان في يوم جمعة.. ومن حياة جمعة هذا وحياة سيد روبنسون كروزو نعرف ما هي الحياة التي يريد أبناء الغرب أن يحيوها، بعد أن ضاقت بهم حياتهم، وبعد أن ملوا أفكارهم وكفروا بمذاهبهم الفلسفية والدينية..

ثم سكت الأستاذ، واعتدل ونظر إليها بعينين نافذتين قائلا: أنت تزوجت.. ولم تكوني سعيدة في هذا الزواج؟

وكان تحولا غريبا في الحوار. وكان مفاجأة. واضطربت الزميلة. وأنزلت ساقا ووضعت ساقا وهربت من نظراته تبحث عن مطفأة للسجائر فلم تجد. وخرجت من الغرفة لتطفئ سيجارتها، وعادت لنجد وجهها شاحبا. وبعض قطرات العرق على جبهتها، وجلست كأنها إنسان آخر. وزادت دهشتنا وحيرتنا ولم يشأ الأستاذ أن يتركها تمتص هذه المفاجأة، ولكنه بسرعة قال: لاحظت ذلك في يدك اليسرى. فما يزال أثر الخاتم غائرا في إصبعك. وهذا يدل على أنك كنت أكثر امتلاء.. ثم نقص وزنك.. كما أن بعض الترهل عند خصرك كما أرى من قميصك.. ربما حملت وأجهضت.. أو أن لك عددا من الأطفال.. وربما دفعك اليأس إلى أن تهملي نفسك.. كما هي عادة المرأة حين لا يكون في حياتها رجل. ثم إن المرأة عندما تضيق بالرجال فإنها تهمل نفسها كثيرا.. وأحيانا تذهب إلى

تعذيب نفسها.. وأحيانا تذهب المرأة إلى تحقير نفسها، حتى لا يقترب منها رجل.. بل إن المرأة أحيانا تروي القصص التي تسيء إلى سمعتها، حتى تخيف الرجال.. لأنها تريد أن تكون بعيدة عنهم، فتروي عن نفسها ما لا يشجع أحدا على أن يتقدم لها.. ثم تندم على أنها أساءت إلى نفسها.. ولا أستبعد أن تكون فلسفتك الهندية قد جاءت بعد الزواج وليس قبل الزواج.. فالإنسان لا ينشد العزلة والوحدة والزهد لأنه ناجح في حياته.. ولأن له زوجة وأولادا.. ولكن فقط عندما يكون الإنسان فاشلا أو تعسا، فإنه " يفلسف " هذه التعاسة.. ويختار لها من " الأزياء " الفكرية والأدبية ما يناسبها.. ولا يناسب التعيس أن يرتدي أحسن الأزياء، ولا يناسب المرأة التي هجرها زوجها أو خانها، أن تضع أجمل الحلى، وأن تقف طويلا أمام المرآة.. إنما هي تكره جسمها الذي كانت تراه مصيدة للرجل.. وتكره فساتينها التي كانت تجذب عينيه.. وتكسر زجاجات العطر التي كانت تملأ أنفه.. إن المرأة التعيسة هي امرأة لم تعد امرأة.. إنها لم تعد شيئا.. إنها لا شيء، كما تقولين..

وفي نبرة حزينة. وصوت منكسر مهزوم قالت: نعم يا أستاذ. كنت قد تزوجت. وتركت مصر وعشت مع أبي. وشاء الله أن يموت طفلاي.. فقد ولدت توأمين.. وماتا بعد أربعين يوما، واختلفت مع زوجي. واعتقد هو أنني قتلت الطفلين، لأنني لا أريد أن أرتبط به.

ولم نكن نعرف أنها تزوجت، ولم ينظر واحد منا لا إلة إصبعها ولا إلى مكان آخر من جسمها.. بل الأعجب من ذلك أننا لم نلاحظ أن الأستاذ قد نظر إليها.ز بل إنه كان يتجه ناحيتنا ويحرك رأسه يمينا وشمالا دون أن

يتوقف عند واحد منا.. ولكن كيف لاحظ إصبعها وبطنها؟ وكيف اهتدى إلى كل ذلك؟.. نحن لا نعرف.. ولكنه الأستاذ القادر على الملاحظة. وصنع " مفاتيح الشخصية " بسرعة هائلة..

ولكن الأستاذ قد شعر ناحيتها بكثير من الاحترام لها، والعطف عليها.. بل إنه كان يتجه إليها كثيرا عندما يتحدث. حتى لو كان يرد على واحد منا.. وقد لزمت الزميلة الصمت. ثم تجمدت على مقعدها، بل أكاد أقول إنها لا تتنفس. فلم تعد تدخن. وقد لصقت ساقيها الواحد في الأخرى.. وقد مال رأسها إلى الأمام قليلا. وأصبحت نظراتها أقل اجتراء. وظهر عليها الملل. كأنها تريد لهذه الجلسة أن تنتهي. وقد عرفت منها فيما بعد أنها تمنت أن ننصرف جميعا، وأن تجلس هي مع الأستاذ، وأن تلقي بنفسها على صدره وتبكي حتى الموت. فقد رأت في عيني الأستاذ أبوة كاملة.. رغم أن عباراته كانت خشنة، لأنه رجل يجلس إلى الرجال طول الوقت.. ولو عرف مجالس النساء، لكان أنعم وأرق.. وهي قد اكتشفت فيه، بغريزتها الأنثوية، أنه أرق رجل عرفته في حياتها؟!

* * *

[نقلا عن كتاب " في صالون العقاد كانت لنا أيام " – ص ٢٨٦]

٣- ساقية الصاوي نموذج متميز

" ساقية الصاوي " مركز ثقافي مشهور بالقاهرة في منطقة الزمالك، ومتعدد الأنشطة، وقد بدأ برعاية خاصة، ولكنه يتحول مع حركة الزمن إلى نشاط عام كما سنرى.

" الساقية " لم تحمل اسم الندوة أو الصالون أو المركز، اكتفاءا بهذا الوصف الذي يعود إلى أن من تنتمي إليه وهو الصحفي الأديب عبد المنعم الصاوي قد ألف رواية من خمسة أجزاء، أطلق عليها اسم " الساقية "، وهذه الأجزاء: – الضحية – الرحيل – النصيب – التوبة – الحساب. وهذا الجزء الأخير لم يكتمل بوفاة المؤلف عام ١٩٨٤، كما أنه شغل منصب نقيب الصحفيين في مصر دورتين، كما شغل منصب وزير الثقافة والإعلام عام ١٩٧٧، وكان نائبا في مجلس الشعب عن دائرة الأزبكية والظاهر، من ثم يمكن أن نقول إن عبد المنعم الصاوي كان له حضورٌ سياسي وثقافي مرموق، وجاء ابنه مُحَّد فأعطى اسم والده حضورا اجتماعيا باذغا بتأسيس هذا المركز.

وقد قدمت بعض حلقات هذه الرواية الخماسية في شكل دراما تليفزيونية (مسلسلة) نالت بها شهرة جماهيرية واسعة، لما تمثل من صراع الطبقات حول ملكية الأرض الزراعية في مصر، ولما اتسم الأداء التمثيلي فيها بالواقعية الساخرة اللاذعة، التي تقارب الميلودراما.

كان التوفيق حليف مُحَّد الصاوي إذ اختار اسم ساقية الصاوي عنوانا لمركز ثقافي متعدد الاهتمامات، متحرر من الإدارة البيروقراطية لأجهزة

الدولة، ومخاوف الرقابة كذلك، والتعامل مع هذا المركز متاح لكل من يرغب في إمداده بنتاج موهبته، أو استرفاد معطياته لمن يتطلع للارتقاء بأسلوب أداءه.

بدأ المركز عمله عام ٢٠٠٥ بإقامة الحفلات الموسيقية لاجتذاب الجمهور على اعتبار أن الموسيقى والغناء أوسع الفنون انتشارا بين الناس، وكان بها تنوع واختلاف عن السائد من الموسيقى وقتها، فكان من أبرز نجوم هذه الحفلات فرق موسيقى الجاز والموسيقى الغجرية والراب وأخرى تعرض ثقافات مختلفة من أنحاء العالم.

تم عمل المعارض التشكيلية وعرض الأعمال النحتية، ثم بدأ تقديم الأمسيات الشعرية في خلال الحفلات الغنائية ثم تقديمها منفردة في أمسيات خاصة. قامت الساقية مؤخرا بتنظيم مهرجان مستوحي من فكرة سوق عكاظ للشعر تحت اسم " عكاظ الشعر " وشارك فيه شعرا من مختلف محافظات مصر واستمر لثلاثة أيام.

يقوم المركز بتقديم العروض الفنية المسرحية والسينمائية والموسيقية، وتنظيم المعارض التشكيلية سواء لكبار الفنانين التشكيليين أو للشباب. وتحتوي الساقية على مكتبة تنقسم إلى أربعة أقسام: مكتبة عامة، مكتبة للطفل، مكتبة إلكترونية، ومكتبة موسيقية. وتحتوي أقساماً لتعليم المبادئ الأساسية لأنواع عديدة من الفنون مثل الرسم. تستضيف الساقية الندوات وورش العمل في قاعاتها وهذا على المستوى الأدبي والعلمي. بالإضافة إلى تقديم العروض المسرحية، يقوم المركز بتنظيم المسابقات في المجال المسرحي.

وتقوم أنشطة ساقية الصاوي على التبرعات والاشتراكات السنوي لأعضائها الذين يتجاوز عددهم عشرة آلاف. ويتردد على المركز شهريا أكثر من ٢٠ ألف زائر، ولها موقع إلكتروني يتردد عليه نحو ١٥٠ ألفا شهريا.

* * *

" ساقية الصاوي " مركز ثقافي مؤثر قاهريا ومصريا بوجه عام، وله سوق رائجة، ويتعلق به المئات من المبدعين، من القاهرة، ومن كل أنحاء مصر، ونشاطه ليس قاصرا على المبتدئين. فكثيرا ما يقيم ندوات ويستضيف محاضرين من مستويات ثقافية رفيعة.

نتأمل هذه التجربة، وقد بدأت بإرادة شخص اتجه إلى أن يحيي اسم والده المثقف في عمل ثقافي، رعاه بنفسه، وحر ماله، وإن يكن قد استعان بالدولة، التي منحته المكان، وكان الاختيار موفقا، فبالرغم من أن الزمالك ضاحية أرستقراطية، أو لها هذا الطابع، فإن الساقية حافظت على منحاها الشعبي الديمقراطي. والتجربة – إلى الآن – ناجحة، إذ تمكن مؤسسها (مُحَمَّد عبد المنعم الصاوي) من أن ينأى بها عن عواصف السياسة، وهياجها، بخاصة فيما بعد ٢٥ يناير ٢٠١١ وإلى حين صدور هذا الكتاب، على الرغم من انه قبل أن يكلف بوزارة الثقافة في أعقاب ثورة يناير ٢٠١١، ولكنه لم يحتفظ بمقعده غير بضعة أيام، وحتى بعد أن اجتاز النجاح في انتخابات مجلس الأمة فإن هذا لم يكن بابا أو وسيلة لتوظيف السياسة في الترويج لـ " ساقية الصاوي " أو العكس. مما أسس لقاعدة

محترمة في التعامل مع هذا المركز الثقافي المؤثر. وحين حدد مبلغ من المال لإتاحة الإفادة من أنشطة المركز كمشاهدة الأفلام والعروض المسرحية ومشاهدة المعارض الفنية التشكيلية.. إلخ، فإن هذا المبلغ زهيد جدا، وليس القصد منه أن يكون مصدراً لجني الفوائد بقدر ما هو لاستبعاد المتبطلين والعابثين والعابرين...

هذه التجربة تستحق أن نتأملها، بل أن يتأملها أثرياء مصر الذين جنوا ثروات طائلة من التعامل بخاماتها، ومنتجاتها، وناسها، ولم يفكر أكثرهم في أن يرد جزءا من جميل هذا الوطن إلى أهله.

ينبغي أن ننوه إلى أن بعض كبار أثرياء مصر، قد أقاموا جوائز أدبية وفكرية، موازية لجوائز الدولة (وإن تكن أقل في المستوى المادي) مثل جائزة " ساويرس " وهي تمنح لفنون السرد خاصة (الرواية والقصة القصيرة)، ولكن هذه الجوائز – على ندرتها – ليس لها التأثير الشامل المستمر المتجدد، الذي تصنعه مثل " ساقية الصاوي "، فضلا عن أن هذه الجوائز – عادة وغالبا – تصاب بما تصاب به جوائز الدولة في مصر، إذ تتحكم فيها أجهزة وزارة الثقافة، ومن يسيرون في فلكها من كبار موظفيها، وحواريوهم (شللهم)، ونقول هذا استنادا إلى رصد صدى هذه الجوائز، وحالة الغضب والشعور بالإحباط التي تنتاب جمهرة المبدعين والمهتمين بالثقافة في مصر، وهذا الشعور له أثر سلبي مستمر على علاقة المثقف بالدولة، وربما على علاقته بالثقافة كذلك، بما يجعله يشعر بأن هذه الجوائز ليس لها من فائدة غير تلك التي اجتناها من فازوا بها، فضلا عن المحكمين – على درجاتهم – الذين يصدرون الأحكام، كما يراد لها أن تكون!!

٤- صورة نموذجية لمثقف الصالون

الأستاذ عبد الحميد البسيوني، كما رآه الدكتور يعقوب الغنيم

"... معرفتي بالأخ عبد الحميد حسنة من حسنات الأستاذ محمود مُحَمَّد شاكر، فقد عرفته في بيته، وكان ذلك بعد أن مضت الأيام، وتخرجت، وبدأت العمل، فرأيته عند الأستاذ في إحدى زياراتي لمصر – آنذاك – ولم يكن قد حضر جلساتنا الأولى لأنه في ذلك الوقت كان ملازما لأستاذ آخر من الأساتذة الكبار هو عباس محمود العقاد الذي وجهه إلى الاستفادة من علم الأستاذ محمود شاكر، ولكنه لم يتصل بأستاذنا إلا بعد وفاة أستاذه العقاد.

وكما هو مقدر لنا وله فقد حضر إلى الكويت في سنة ١٩٦٨ م وصار مدرسا في ثانوية عبدالله السالم بمعية الأخ الأستاذ جمعه ياسين الذي يعرفه كما نعرفه، ويقدره كما نقدره. ثم انتقل للعمل في جهاز المناهج بوزارة التربية يوم كان الأخ الأستاذ أحمد الجاسر مديرا له، وهو – أيضا – صديق للأستاذ عبد الحميد له معرفة به سابقة مثلنا، وقد طلب انتقاله إلى هذه الإدارة لمعرفته بإمكانات الرجل العلمية، وقد أفاد كثيرا طيلة فترة عمله هناك. إلى أن تلقيت مكالمة هاتفية من الأستاذ المرحوم أحمد مشاري العدواني يطلب انتداب عبد الحميد لكي يعمل معه في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الذي كان أمينا عاما له آنذاك، فلم أملك إلا الموافقة تقديرا لمكانة الأستاذ العدواني وتعبيرا عن محبتي له.

وفي هذا الواقع الجديد صار عبد الحميد ضمن الجهاز العامل على

إحياء التراث العربي، وكان أخي الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم مشرفا على هذا الجهاز فوجد فيه نعم العون.

مرت الأيام وجاءت وجوه وتغيرت وجوه، وصدر أمر سمو الشيخ المرحوم جابر الأحمد الجابر الصباح بتشكيل هيئة تتولى إنتاج قاموس للقرآن الكريم. وقد تم تشكيل هذه اللجنة برئاسة الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم، وتولى الأستاذ عبد الحميد البسيوني مهمة الإعداد والتحرير بالمشاركة مع الدكتور أحمد مختار عمر، وأنتجت اللجنة عددا من البحوث المهمة في هذا المجال، وكان الأخ عبد الحميد يزاول عمله في مقر اللجنة بمؤسسة الكويت للتقدم العلمي حتى وفاته. وقد كان هذا الإنجاز خير هدية من الكويت وأميرها للمسلمين بمناسبة انعقاد الدورة الخامسة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في الكويت، وهي الدورة التي ترأسها المرحوم الشيخ جابر الأحمد الصباح.

كان يؤدي عمله المهم هذا في المساء، أما في الصباح فهو مستشار في الديوان الأميري يؤدي ما يطلب منه، فقد اختاره الأخ الأستاذ إبراهيم الشطي لهذا العمل، ولم يقم بعمل آخر بعده حيث توفي.

منذ بدأنا الجلوس في ديوانية الثلاثاء في سنة ١٩٧٨م، والأستاذ عبد الحميد يداوم على مشاركتنا جلستنا الأسبوعية، وكان نجما في هذه الديوانية يطرح الأفكار، ويناقش ما يسمع، ويجيب على أسئلة السائلين، ولقد كان كنزا من المعرفة بكل شيء تقريبا، ولم يكن يتردد في متابعة أي موضوع يجد في بحثه فائدة، وكان في البداية يسعى إلى كتابة ما يعن له أو ما

يناقش معه من موضوعات، فيطبع ما يكتب في كراسات يوزعها علينا، ومنها الكراسة التي أصدرها في اليوم التاسع عشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٩٥ م، وكانت هذه هي كراسته الأولى، وتتكون من اثنتي عشرة صفحة من القطع الصغير. وهي تدور حول نقاش دار بيننا ردا على سؤال سأله أخونا آدام إبراهيم الدسوقي، وكان حول مدلول الآية الكريمة ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وكان الاختلاف حول نوع العلم الذي تنطبق عليه الآية: وهل هو علم الدين أم علم الدنيا؟ تناول الأستاذ عبد الحميد البسيوني هذا الموضوع وعرضه على عدد من كتب التفسير واللغة والنحو، وعلى الرغم من اختلاف الأقوال التي ذكرها عن أولئك إلا أن عبارة الآلوسي في كتابه " روح المعاني " – وهي آخر ما جاء في الكراسة قبل الانتقال إلى موضوع آخر – كانت تعطي الفرصة لإدخال كافة العلماء الذين وصفهم بقوله: " والمراد بالعلماء العالمون به عز وجل، وبما يليق به، من صفاته الجليلة، وأفعاله الحميدة، وشؤونه الجميلة، لا العارفون بالنحو والصرف مثلا... "

وهذا معناه أن العلماء الذين يخشون الله سبحانه هم العلماء المشتغلون بعلوم الكون، لأن هذا النوع من العلوم يفتح لهم مجال التأمل في قدرة الخالق العظيم، كما يشمل العارفين به من المؤمنين، وإن كان هذا القسم من العلماء لا يقل عن القسم الأول من حيث تأدية العلم الذي علموه إلى معرفة الله، وخشية عقابه.

ولقد تكررت مثل هذه الكراسة حتى بلغت أربع كراسات ضمت موضوعات متفرقة، إلى أن توقف عن هذا العمل بسبب انشغاله في مسائل

أخرى تتعلق بما يكلف به من أعمال على مستوى الحكومة.

للأستاذ عبد الحميد البسيوني شعر جميل، يتحفنا به بين آونة وأخرى، ويتبادل القصائد مع بعض الشعراء على سبيل الجد مرة وعلى سبيل الدعابة مرات. وقد سبق لنا نشر مقال يتضمن شيئا من هذا الأخير أفردت له جريدة " الوطن " مكانا بارزا، وكان بعنوان " شكاية تايه بن حيران على الميتر الكحيان، أزمة الشاكي الكهربائية بين أربعة شعراء " وكانت البداية من صاحبنا عبد الحميد الذي استبد به عداد الكهرباء في بيته فصار يسجل عليه مبالغ غير معهودة حتى صار الأمر كما قال:

والفـــواتير كسيـــل جـــارف ... تدخـــل البيـــت بـــلا إذن وطـــرقِ

كـــم شـــكوناه فلـــم يُســـمع لنـــا ... مـــع أنا (والنـــبي) أصـــحاب حـــق

وقد شاركت برد على قصيدته هذه كما شارك أخي المرحوم عبد اللطيف الديين، وحين أطلعنا أستاذنا المرحوم عبدالله زكريا الأنصاري على القصائد الثلاث جاءنا بقصيدة جميلة أبي إلا أن يضمنها شكاية عامة حول الأوضاع التي لا نزال نشكو منها حين قال:

ودَجـــى الليـــل ولاحـــت فِـــتنٌ ... لمعـــت صـــبحا ومـــن بعـــد الشـــفقِ

زُمـــر هـــبت علينـــا زمـــرا ... في ظـــلام الليـــل وانـــزاح الألـــق

وانثـــنى الوجـــدان حـــزنا وانطـــوى ... وأدلهـــم الخطـــب والقلـــبُ انغلـــق

لقد كانت ممارسة جميلة للنقد، ولكنها كانت عن طريق الدعابة التي يجيدها المرحوم البسيوني على الرغم من جديته البالغة في العلم، وفي التنبه إلى كل ما يمكن أن يثير الشبهات حول ديننا الحنيف.

... كان الأستاذ البسيوني قارئا نهما، لا يمل القراءة، وكان متنوع القراءات لا يترك مجالا من المجالات إلا وقرأ فيه؛ فهو يقرأ كتب التفسير والحديث والنحو واللغة والتاريخ وكتب الأدب ودواوين الشعر، وبالجملة فإنه لا يترك كتابا وقع في يديه إلا وقرأه وكتب تعليقه عليه، وقد منحه الله مقدرة الحافظة الذكية؛ فهو يحفظ الكثير من كل ما قرأ، وهذا ما يعطيه السيل الدافق من العلم الذي يقدمه لكل سائل ويلقيه على كل مستمع، بل وكان فوق ذلك كله كثير الاحتفاء بالعلماء، يحرص على لقائهم وتوجيه الأسئلة إليهم بغية استثارة معلوماتهم والاستفادة منهم، وكانت الجلسة من جلسات الديوانية التي يحضرها بوجود أحد هؤلاء مجالا للاستفادة من العلم والاستزادة منه لأن النقاش والسؤال والجواب مما يحيي المعلومات وقديما قيل: " حياة العلم مذاكرته ".

وهو إلى جانب ذلك حريص على أن يقيد كل ما يقرأ أو – على الأقل – كل ما يلفت نظره في كتاب أو مقال، وحريص على تسجيل ملاحظاته واستدراكاته إضافة إلى أنه كتب عددا من الموضوعات المهمة كان يأبى أن يطبعها بدعوى أنه لا يزال في حاجة إلى مزيد من التدقيق. وقد قام الأخ الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم بالاهتمام بتراث صاحبه فنشر له أربع كتيبات مهمة هي:

١- كتاب " وهزم الأحزاب وحده " وهو خاص بالحديث عن غزوة الأحزاب.

٢- كتاب " عامية لكنها فصيحة " ولقد كان اهتمام الأخ عبد الحميد

البسيوني باللهجة الكويتية كبيرا، بدأه منذ وصل إلى الكويت، وهذا الكتاب ترسيخ لذلك الاهتمام، وقد تناول فيها عددا من ألفاظ اللهجة الكويتية عائدا بها إلى أصولها العربية، فأحسن في ذلك كثيرا.

٣- كتاب " من بر القرآن الكريم " وهذه هي الطبعة الثانية للكتاب، بعد أن نشره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر في سنة ١٩٦٤ م، والكتاب إلمام جيد بكل ما يتصل بمعنى البر في القرآن الكريم.

٤- كتاب " المادحون لرسول الله ﷺ " وقد جمع فيه عددا كبيرا من القصائد التي امتدح الشعراء فيها الرسول الكريم، وذكر أسماءهم، وبيانا عن حياتهم بشيء من الإيجاز.

٥- هذا وللأستاذ عبد الحميد كتاب لم يأت دوره للطبع حتى الآن، وهو كتاب مهم في نقد طبعة د. عبد المعطي القلعجي لكتاب دلائل النبوة للبيهقي. الذي نشير إليه تحت عنوان: " عبث القلعجي بكتاب دلائل النبوة للبيهقي " نأمل ان يأتي اليوم الذي نرى فيه صدوره لكي يصحح كل من امتلك نسخة من تحقيق القلعجي ما بيده حرصا على وضع الحقائق في اماكنها.

إضافة إلى كل ما سبق فإن للأستاذ البسيوني كتابات كثيرة هي عبارة عن مقالات وبحوث وتصحيحات ودروس مكتوبة، وكلها تحتاج إلى جمع وطبع لما لها من أهمية، لأنها تدل على جهد كبير في سبيل المعرفة بذله أثناء حياته، وتدل على أسلوب تلقيه عن العلماء، وكيف يستفيد طالب العلم

منهم. فهي – على كل حال – كنز من العلم لا غنى عنه، ومن عدم الوفاء أن يترك حتى يفقد ".

* * *

هذه الصورة الإنسانية الراقية، المرسومة بالكلمات، فقرات مجتزأة من مقال كتبه الأستاذ الدكتور يعقوب يوسف الغنيم عن واحد من أركان ديوانيته (ديوانية الغنيم) التي كانت تعقد بمقرها، ببيت العائلة بضاحية " المنصورية " القريبة من الكويت (العاصمة). وقد نشر هذا التعريف الرقيق الرفيع معا، في المجلد الثالث من كتاب " الأزمنة والأمكنة " للدكتور يعقوب، الذي تفرغ للإنتاج الثقافي والتأليف بعد أن خاض غمار المناصب السياسية، فكان وكيلا لوزارة التربية عدة سنوات،ثم وزيرا لتلك الوزارة عدة سنوات أخرى.

سبقت الإشارة إلى " ديوانية الغنيم " بأقطابها الثلاثة الأشقاء الدكاترة: يعقوب، ومرزوق، وعبدالله، وفي سياق هذا التعريف الذي كتبه الدكتور يعقوب عن الأستاذ عبد الحميد البسيوني، قد أحسن فيه غاية الإحسان إذ جاوز خطة الرثاء وبصيغه المأثورة، وانفعالاته الآسية!! اكتفى بأن أشار إلى النشأة، وتواشج العقول والنفوس، وروعة التوحد في العمل والأهداف. بما يؤدي إلى مزيد من تألق الضوء حول شخصية المكتوب عنه، ويحفظ قدر الكاتب المحترم.

عرفت بدوري عبد الحميد البسيوني، ونحن طلاب في دار العلوم، وقد اختط لنفسه طريقا كشف ثوابته مقال الدكتور يعقوب، فرسم صورة مثقف

الصالون في تهذيبه ووداعته وتعدد المحاور المكونة لثقافته، ورأينا كيف لازم صالون العقاد، فإذا أغلقت أبوابه انتقل إلى صالون محمود شاكر، فما غادر مصر إلى الكويت أخذ موقعا مرموقا في صالون آل الغنيم، وظل وفيا لكل موقع حل به، صادق الصدور عن خصوصيته الثقافية، ملائما بينها وبين التوجه العام للصالون (الديوانية) التي اختارته فاختارها.. مع مجافاة التصنع والتعالم والتعالي، وملازمة طبعه الحق، الدمث البالغ الرقة والتهذيب..

* * *

٥- منتدى القيمة المضافة

طارق العبد الغفور – الكويت

منتدى " القيمة المضافة " تجمع كويتي بدأ نشاطه في عام ٢٠٠٨، وتقوم فكرته على تجمع عدد من الشباب والرجال لا تجمعهم أية رابطة غير الصداقة مع المؤسسين لهذا المنتدى، علاقة صداقة مستقرة من أيام الدراسة أو أيام العمل، والمهم أن تكون هذه الصداقة بريئة تماما من روابط القبلية أو المذهب أو المعتقد السياسي.

هدف المؤسسون إلى أن يتم جمعهم في لقاءات دورية وتكون على شكل " ديوانية كويتية مطورة "، يتم في هذه اللقاءات طرح مواضيع للمناقشة في اثقافة والحضارة والفنون والعلوم، من خلال استضافة أحد المتخصصين في المجال المراد مناقشته.

يقام المنتدى بديوانية العبد الغفور، يديره الأستاذ طارق العبد الغفور،

بمنطقة السرة من ضواحي مدينة الكويت (العاصمة). بدأت الفكرة لدى بعض من مؤسسي المنتدى بداية عام ٢٠٠٨، وتمت مناقشتها والاتفاق بداية على الأطر العامة، ومن ثم تم الاتصال بالأسماء المقترحة ليكونوا أعضاء دائمين ومؤسسين، ولاقت الفكرة القبول من معظم من تم الاتصال بهم، وتم الاكتفاء بداية بعشرة أشخاص، لأننا نعتقد – ولا نزال – أن العبرة بالكيف وليس بالكم، وأننا نفضل حضور من لديه رغبة وتحمس للهدف، وليس بقصد المجاملة.

ثم شرعنا في التفكير في ماذا يطرح خلال المنتدى وكيف سيكون الطرح، واتفقنا على ما يلي:

- المنتدى مفتوح لمناقشة المواضيع في مختلف المجالات (اقتصادية – سياسية – اجتماعية – أدبية – علمية – فنية.. إلخ)، فالمراد هو خلق ثقافة عامة لدى الحضور في ما سيتم طرحه.
- ضرورة أن يكون الضيف (المحاضر) متخصصا في الموضوع الذي سيعرض له.
- يخصص لهذا اللقاء ساعة واحدة فقط، يعطي نصفها لمحاضر، والنصف الآخر للمناقشة من قبل الحاضرين.
- تعقد لقاءات المنتدى بصورة دورية، وستكون البداية بلقاء كل شهر، وليس في خطتنا أن تكون اللقاءات أسبوعية، حتى لا يكون هناك إرهاق للحضور، يؤدي إلى ردّ فعل!!
- ليس لدى المؤسسين أي طموح سياسي أو الرغبة في البروز

الإعلامي، لذلك تم الاتفاق على بقاء لقاءات " المنتدى " بعيدا عن أضواء الإعلام، وكان يكتفي بتوثيق اللقاءات – أو جزء منها – بالتصوير المرئي، كما تم لاحقا إعداد سجل يدون فيه الضيوف رأيهم بالمنتدى وما يطرح فيه من مواضيع ومناقشات.

تم الانطلاق بعون الله وعقد أول لقاء لمنتدى " القيمة المضافة " في نهاية شهر مايو ٢٠٠٨، وكان الضيف هو الدكتور / علي الزميع " وزير التخطيط الأسبق " وكان الموضوع: " المجلس والحكومة.. رؤية مستقبلية "، وتم اختيار هذا الموضوع بالنظر إلى أن الانتخابات البرلمانية (وفقا لنظام انتخابي جديد يطبق لأول مرة في الكويت) قد انتهت في منتصف مايو وكانت الحكومة الجديدة على وشك الإعلان عن تشكيلها.

توالت اللقاءات بعد ذلك على مدار ست سنوات حتى عامنا الحالي (٢٠١٤)، وكانت اللقاءات بداية تتم بمعدل خمس لقاءات في السنة، وخلال السنتين الأخيرتين زاد عدد اللقاءات، كما أن عدد الحضور تطور (كما ونوعا)، وبخاصة من الشباب (في العشرين وما فوقها).

ولعل من أبرز ما يميز " المنتدى "، حرص العم الفاضل / يعقوب القطامي على الحضور والمشاركة، وهو الذي تجاوز الثمانين عاما، فقد سمع عن المنتدى من ابنه وهو أحد الحضور، وبدأ يحرص على المشاركة منذ اللقاء الثاني، كما تمت استضافته كمتحدث في أحد اللقاءات.

تنوعت المواضيع التي طرحت في " المنتدى "، وكان من أبرز من حاضروا فيها:

- د. علي الزميع (وزير التخطيط الأسبق).
- الأستاذ / عبد العزيز السريع (الكاتب المسرحي).
- الاقتصادي / جاسم السعدون.
- الأديب / فاضل خلف.
- الكابتن الرياضي / سعد الحوطي (قائد منتخب الكويت في تصفيات كأس العالم ١٩٨٢).
- السيد / وليد الفاضل (مؤسس فريق الغوص الكويتي التطوعي).
- الأستاذ / الفاروق عبد العزيز(الإعلامي والمنتج ومؤسس نادي السينما في الكويت).
- السيد / يوسف مُحَمَّد النصف (وزير الشؤون الأسبق).
- السيد / حمزة عباس (اول محافظ لبنك الكويت المركزي).
- الأستاذ / صالح المسباح (الباحث في التراث الكويتي).
- السيد / عبدالله المخيال (المنتج والمخرج للعديد من الأفلام الوثائقية).
- الدكتور / مُحَمَّد المقاطع (الخبير الدستوري).
- السيد / عامر التميمي (الاقتصادي والناشط في مجال مؤسسات المجتمع المدني).
- الأستاذ / علي الرضوان (أمين عام المجلس التأسيسي ١٩٦٢ ومقرر لجنة إعداد الدستور).

- السيد / عيسى رمضان (خبير الأرصاد الجوية).

كما حظي " المنتدى " بحضور بعض الشخصيات البارزة في لقاءاته، شاركوا كمعقبين للمواضيع المطروحة، ونأمل أن تسنح الفرصة لاستضافتهم في لقاءات خاصة:

- الدكتور / علي الكواري (من دولة قطر).
- الأديب / عبدالله خلف.
- السيد / مشاري المطوع (المنتج والمخرج).
- الدكتور / عادل المؤمن (أستاذ العمارة في جامعة الكويت).
- السيد / خالد الحربان (شيخ المعلقين الرياضيين).
- الدكتور / مُحَمَّد حسن عبدالله (من جمهورية مصر العربية).

بعد هذه السنوات من عمر " المنتدى " لا يزال الاعتقاد بأننا في بداية الطريق، وأن إحداث ثقافة عامة لدى الجيل عمل شاق، وأن إيجاد نماذج لمتخصصين في كافة العلوم يكونون قدوة لمن بعدهم طريق ليس مفروشا بالورود، لكننا نسعى لأن نبذر حبة، علها تنبت سنابل في كل سنبلة حبات متعددة، ويحدونا الأمل أن يتفرع من هذا " المنتدى " منتديات أخرى تقوم على أكتاف الحضور، وتتوزع في محافظات الكويت الست.

كما نأمل في المستقبل القريب أن يكون لدينا موقع الكتروني يتم من خلاله عرض اللقاءات لتكون الاستفادة أكبر بإذن الله.

* * *

وبعد...

فقد حضرت أمسية من أمسيات هذا المنتدى، وكان الموضوع عن تغيرات المناخ في الكويت وأثرها على الطبيعة والناس، وكان المحاضر فيها الأستاذ عيسى رمضان الخبير في شؤون البيئة. وأشهد أن العرض كان جادا وعلميا وبعيدا عن الجفاف والغرق في المصطلحات، كما كانت التعقيبات والاقتراحات منضبطة ومثمرة..

وقد كتبت في سجل المنتدى (مساء الأربعاء ٢٠١٤/٥/١٤) ما يعبر عن إعجاب حقيقي بالتنظيم، وإدارة اللقاء، واختيار الموضوعات، وتنسيق التعقيبات، فكان مما كتبته:

" جميل أن يتسع العمر لمزيد من اكتشاف النبل والعلم والجمال في موقع واحد لم يتجه التفكير إلى إمكانه، فإذا به يفرض تألقه وإنسانيته في لحظة نادرة.. في هذا الصالون الثقافي تحصل على مستويات من النور والوعي والألفة والمعرفة والمحبة تتواصل وتغزو وجدانك بغير حساب ".

٦- الصالونات الأدبية في المملكة العربية السعودية

هذا عنوان كتاب تسجيلي شامل (٦٠٥ صفحة صدر عام ٢٠١٢ م)؛ عني مؤلفه الدكتور أحمد الخاني بظاهرة الصالونات الأدبية، واسعة الانتشار في مدن الجزيرة العربية: الرياض، ومكة، والمدينة، وجدة، والدمام، وغيرها، والتعريف بأصحابها، وأهم الشعراء والمحاضرين المشاركين في أمسياتها، وقد جرى العرف أن يحمل الصالون اسم اليوم الذي يقام فيه،

أسبوعيا أو شهريا، فهناك السبتية، والأحدية، والاثنينية، والثلاثائية، والأربعائية، والخميسية، وربما تجنبوا – في جملتهم – يوم الجمعة.

وقد تراكمت الصالونات حتى اضطر أحدها أن يغير يومه بسبب أن موعده مشغول – في المدينة نفسها – بصالون سابق عليه.

يمكن أن نرصد الملامح المشتركة، والمنفردة، لهذه الصالونات وأصحابها، وقد عرضنا لجانب منها (سواء صالونات الرجال وصالونات النساء) في القسم الأول من كتابنا هذا، معتمدين على ما عرضت له الصحافة (السعودية)، ولكن كتاب الخاني يستحق أن نعرض لمحتواه – وإن باختصار – لما يسجل من ظاهرات مشتركة تعطي تحديدا أكثر وثوقية وتفصيلا في التعريف بطبيعة هذه الصالونات وتوجهاتها.

١– في مفتتح الكتاب تفصيل يخص " ندوة الرفاعي " (الخميسية)، بمناسبة مرور خمسين عاما على تأسيسها، ولم يكن الوصف بالصالون متداولا، وكان مؤسس الندوة – كما وصفه –: الشاعر والأديب والمؤرخ والمحقق الشيخ عبد العزيز بن أحمد الرفاعي، قد توفي منذ نحو عشرين عاما، ومع هذا ظلت الندوة تمارس نشاطها المعهود، واستقرت صورتها قدوة ومثالا لمن جاء بعدها.

٢– يغلب الشعر والأدب طابعا عاما على نشاط الصالونات، ولكنها قد تعرض لقضايا تاريخية وحضارية وعلمية وسياسية واجتماعية. في البدايات يتغلب طابع الارتجال أو الإفادة من المتاح (شعرا، أو سيرة، أو مناقشات عامة) ولكن أكثر الصالونات اتجهت إلى اختيار

نسق ثابت: متحدث رئيسي، تعقبه مناقشات ومداخلات، ثم تختم الأمسية بالشعر. كما تحدد موضوعات الموسم، وتطبع وتعلن في بدايته. وقد تسجل الندوة على (شريط كاسيت)، وإذا كانت مكتوبة فإن نسخة منها توضع في سجل الصالون.

٣- المترددون على الصالونات غالبا من وجهاء وأدباء المدينة التي تقع بها، ولكنها قد تستقبل ضيوفا من كبار زوار المملكة العرب خاصة، وأساتذة جامعاتها من السعودية، وغيرهم من مصر وسورية ولبنان وتونس والمهجر، وغيرها.

٤- هناك ظاهرة لافتة، وهي أن الغالبية العظمى من مؤسسي الصالونات لم يقتصروا على أنهم من أصحاب الشغف بالشعر والكتابة، وإنما تواصلوا مع الصحافة، فكان لأكثرهم مشاركة في التحرير الصحفي، أو تأسيس دار نشر، تنبثق عنها صحيفة..

- فعبد العزيز الرفاعي أنشأ دار الرفاعي للنشر.
- وكان أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري يمارس الكتابة في الصحافة، ولا يزال.
- أما الدكتور راشد المبارك، مؤسس ندوة الأحد (الأحدية) فكان متخصصا في العلوم، ولهذا اتسعت ندوته إلى الموضوعات العلمية البحتة، كما كان جدول الموضوعات مما يقترحه رواد الصالون.
- أما العلامة حمد الجاسر فقد أطلق على صالونه اسم " ضحوية " — لأنه ينعقد في الضحى، وخميسية نظرا إلى اليوم، وكان قد أنشأ أول

صحيفة بمدينة الرياض (صحيفة اليمامة) كما أسس أول مطبعة، من ثم اتجه إلى العمل بالصحافة، كما أصدر مجلة العرب.

- كان لبعض أمراء البيت السعودي مشاركة في هذا التوجه الثقافي، مثل سبتية الأمير الدكتور سعود بن سلمان بن مُحَمَّد آل سعود، وهو عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود، وقد استقرت الندوة على أن تكون نصف شهرية.

- أما الشيخ عثمان الصالح فكانت ندوته اثنينية (نصف شهرية)، إذ أنشأ مدرسة في القصيم (في عنيزة)، كما كانت له مشاركة في مجال الصحافة، وكان مؤسسا وعضو مجلس إدارة جريدة " الجزيرة " اليومية.

- وقد أسس فائز البدراني الحربي، مؤسس ثلوثية فايز الحربي – دار نشر سماها: دار البدراني للنشر والتوزيع.

- كما كان الدكتور سليمان الرحيلي صاحب منتدى المدينة المنورة – من بين أنشطته العلمية – رئيس تحرير مجلة العقيق بالنادي الأدبي بالمدينة المنورة.

- أما عبد المقصود سعيد خوجة، راعي اثنينية جدة فقد كان مديرا للمكتب الخاص للمديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر، كما كان عضو الجمعية العمومية لجريدة الندوة بمكة، وعضوا مؤسسا بمؤسسة عسير للصحافة والنشر: جريدة الوطن بأبها، وجريدة المطاف أيضا.

– وهذا التواصل مع الصحافة نجده حاضرا حتى مع مؤسسات الصالونات النسوية، في موقع السبق: سارة الخثلان، والأميرة سلطانة السديري.

٥– انفردت بعض الندوات بأسلوب خاص، مثل " منتدى الثلاثاء " للأستاذ فائز البدراني الحربي، وكان يعقد أسبوعيا وأطلق عليه " ثلوثية فايز الحربي " ثم تحولت إلى نصف شهرية، ثم شهرية بعد تزاحم الصالونات على يوم الثلاثاء، ولم تكن تعلن عن نفسها في وسائل الإعلام، وإنما توجه دعوات خاصة لرواد المنتدى، كما كانت الندوة تعقد في خيمة مخصصة لذلك في ساحة منزله.

– وكذلك انفردت أحدية مُحَمَّد بن عبدالله البابطين بأنها تختار الضيوف مسبقا، كما تحدد المواعيد، وترسل خطابات دعوات، ولكن يترك اختيار الموضوع للضيف المحاضر.

– كما كان رواد منتدى الدكتور سليمان الرحيلي مقصدا لطلاب العلم والمعرفة من أساتذة الجامعات والباحثين والمعلمين بوجه خاص. وكذلك كانت أوراق الباحثين تنشر بصحيفة الوطن، وقد تجد طريقا إلى إذاعة البرنامج الثاني.

– وقد حرص الدكتور عبدالله مُحَمَّد باشراحيل، في التعريف بمنتداه بمكة أن يقدم نفسه بأنه " عضو مجلس إدارة نادي مكة الثقافي الأدبي، وعضو اتحاد الأدباء المصريين اليونانيين، وعضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة.. " كما أنه أكثر رعاة الصالونات إصدارا

لدواوين شعره (١٩ ديوانا، ما بين الديوان الأول: صدر في القاهرة ١٩٧٨، والتاسع عشر صدر في بيروت ٢٠٠٥) – وبينها صدرت دواوينه في تونس وجده، وأكثرها في بيروت.

- وتعد اثنينية عبد المقصود سعيد خوجة، بجدة، الأكثر نشاطا في نشر محاضراتها، في شكل كتيبات، كما نشرت دواوين لعدد من الشعراء المعاصرين، ودراسات نقدية وبلاغية وسير وخواطر، كما نشرت (الأعمال الكاملة) الشعرية والنقدية لعدد من أدباء الجزيرة، وتنفرد فقرة بإشارة نادرة (ص٤٩٥) إلى صالونات أدباء المملكة السعودية إبان إقامتهم في مصر: " من أشهرها ندوتا الأستاذ عبدالله عبد الجبار، التي كانت تعقد في بيته، والأستاذ إبراهيم فوده التي كان يعقدها على شاطئ النيل في العوامة المعروفة باسم الذهبية إبان إقامته في مصر " وكان يؤمهما لفيف من أدباء المملكة المقيمين، مثل حمزة شحاتة، وإبراهيم فلالي، وأحمد قنديل، والأستاذ (علي) أحمد باكثير من حضرموت، وشهدت مصر أيضا مجلس الأستاذين مُحَمَّد توفيق الذي كان يعقده مساءً بشقته في الجيزة بعد أن استقال من عمله، واستمر إلى أن عيّن وزيرا للمواصلات، وعبد الحميد مشخص المسائي.

- وينفرد الكتاب الذي أحصى صالونات المملكة بأن يقسم الصالونات إلى ثلاثة أنواع:

١- الصالون الأدبي الخالص، ويمثل له بصالون عبد العزيز الرفاعي، وله

صفة العفوية في المنهج، ويرى المؤلف (أحمد الخاني) أن هذا النوع انقرض أو كاد، ويتمنى لو عاد زمن ازدهاره.

٢- الصالون الأدبي المبرمج، ويعزي إليه كل الصالونات الأدبية في الرياض، ويقصد بالبرمجة أمرين: الإعداد المسبق للموضوعات، والتنوع ما بين الآداب والعلوم وقضايا الفكر.. إلخ.

٣- الصالون الاحتفائي، وإليه يعزى صالون الأستاذ عبد المقصود خوجة.

وفي هذا السياق يسجل ملاحظة (انفرادية) عامة، يستمدها من استطلاع أدبي للبيان (العدد ١٩٨ بقلم مُحَمَّد شلال الحناحنة): أما الملاحظة فهي غياب النقد الذي يتابع هذه الندوات، مما يؤدي إلى عدم تطورها النوعي والإبداعي؟

* * *

الصالونات النسائية:

خصّ أحمد الخاني الصالونات الأدبية النسائية بالقسم الأخير من كتابه (ص٥٤٠ وما بعدها) فذكر من الصالونات:

- صالون سلطانة السديري (الأميرة العصامية): ١٤٢٢ هـ

ولعله من المهم أن نعرف الإنتاج الشعري (الفصيح والشعبي) الذي نشرته الأميرة منذ شبابها المبكر باسم مستعار، ثم باسمها الصريح:أولها ديوان "نداء " ١٩٥٧، وأعيد طبعه باسم " عيناي فداك "، ومن بعده

ديوان " قهر " و " سحابة بلا مطر " ومن بعدهما: " على مشارف القلب " و " الحصان والحواجز ". أما كتابتها عبر الصحافة فقد تحولت إلى صور قصصية، وخواطر وأفكار، جمعتها كتبها.

من المحتم أن يكون جمهور الصالون من السيدات، الأميرات، وسيدات النخبة، وكبار الشاعرات والمثقفات والأكاديميات، وسيدات الأعمال، وزوجات الدبلوماسيين العرب بالمملكة، وأن يكون بعد الختام الانتقال إلى قاعة الطعام. أما موضوعات الصالون فإنها – تجمع إلى الشعر ما يهم المرأة خاصة، وتنمية الوعي العام كذلك مما يتصل بشؤون البيئة: المياه، والتلوث، والتنمية.

- وفي الدمام، منتدى الشرقية الثقافي، ترعاه رائدة المنتديات الأدبية النسائية في المملكة (فقد تأسس عام ١٤١٧ هـ): سارة الخثلان. وندوتها أربعائية، أما البرنامج القادم فيكون ثمرة عرض ومناقشة واتفاق. وقد اختيرت سارة الخثلان من بين أربعين من الشخصيات النسائية العالمية أدين خدمة جليلة للوطن وللمرأة، وكان الاختيار من قبل مجلة نيوزويك الأمريكية، في طبعتها العربية، وكان " الصالون " الرائد المبكر في المملكة أوضح مسوغات هذا الاختيار.
- وفي مكة تقيم الدكتورة وفاء عبدالله المزروع (عام ١٤٢٣ هـ) أحدية المنتدى النسائي الثقافي، وهي متخصصة في التاريخ الإسلامي (العصر الوسيط في الأندلس) ولكن موضوعات الصالون الشهري لا تقف عند اتجاه معين، كما تصل بين الماضي والراهن وتطلعات المستقبل.

- وفي مكة صالون نسائي آخر، تأسس في العام التالي لسابقه (١٤٢٤ هـ) برعاية الدكتورة هانم ياركندي، وميزته بأن أطلقت عليه اسم: " منتدى رواق بكة النسائي " وتوصف (ص٥٨٣) بأنها أول سعودية تحصل على درجة الدكتوراه في علم النفس، وترتب على هذا السبق " أوليات " متعددة بالطبع. وهذا الصالون أربعائي، وينفرد بأن يذكر أنه يبدأ نشاطه " برعاية كريمة من صاحبة السمو الملكي الأميرة عادلة بنت عبدالله بن عبد العزيز آل سعود ".

وينقسم نشاط هذا الصالون في اتجاهين، الأول اجتماع يعقد الثلاثاء من آخر كل شهر عربي، ويتخذ له مكانا صالة محاضرات بإحدى المؤسسات العامة. وفيه متسع للمحاضرين من الرجال، وليس قاصرا على المحاضرات. وهناك اجتماعات أخرى تعقد للعضوات خاصة، ومكانها في منزل آل الياركندي، وتطرح فيها قضايا عامة متصلة بالثقافة غالبا، ولهذا الصالون اهتمام بتكريم السيدات اللاتي أنهين حياتهن الوظيفية في المناصب المؤثرة، واستضافة الشخصيات النسائية القادمة لأداء فريضة الحج، وتبادل الخبرة معهن.

* * *

وخلاصة ما يقدم هذا الكتاب: تعريف شامل بستة عشر صالونا ترعاها النخبة المثقفة في المملكة السعودية، وأربعة صالونات ترعاها سيدات المملكة من المثقفات والأكاديميات خاصة.

وبيانها كالآتي:

١- خميسية معالي الشيخ عبد العزيز الرفاعي (يرحمه الله). ١٣٨٢ هـ

٢- ندوة فضيلة الشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري. ١٣٩٨ هـ

٣- ندوة الأحد للدكتور راشد المبارك. ١٤٠٢ هـ

٤- سبتية الأمير د. سعود بن سلمان بن مُحَمَّد آل سعود. ١٤٠٣ هـ

٥- ضحوية الشيخ حمد الجاسر (يرحمه الله). ١٤٠٤ هـ

٦- ثلاثائية الدكتور عمر بامحسون. ١٤٠٥ هـ

٧- اثنينية فضيلة المربي الكبير الشيخ عثمان الصالح. ١٤١٤ هـ

٨- منتدى الثلاثاء للأستاذ فائز البدراني الحربي. ١٤١٦ هـ

٩- أحدية مُحَمَّد بن عبدالله البابطين. ١٤٢١ هـ

١٠- منتدى العُمري الثقافي أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري. ٢٠٠٨ م

١١- الأحساء: منتدى الدكتور نبيل المحيش. ١٤٢٤ هـ

١٢- المدينة المنورة: منتدى الدكتور سليمان الرحيلي. ١٤٢٣ هـ

١٣- الطائف: أحدية الدكتور جميل اللويحق. ١٤٢٤ هـ

١٤- مكة المكرمة: منتدى الثلاثاء للدكتور عبد الله باشراحيل. ١٤٠١ هـ

١٥- جدة: اثنينية عبد المقصود سعيد عبد المقصود خوجة. ١٤٠٣ هـ

١٦- منتدى الأحد لمعالي أ. د. عبدالله عمر نصيف.

الصالونات الأدبية النسائية.

١- الرياض: صالون سلطانة السديري الأميرة العصامية. ١٤٢٢ هـ

٢- الدمام: منتدى الشرقية الثقافي للأستاذة سارة الخثلان. ١٤١٧ هـ

٣- مكة المكرمة: أحدية المنتدى النسائي الثقافي أ. د. وفاء عبدالله المزروع. ١٤٢٣ هـ

٤- منتدى رواق بكة النسائي أ. د. هانم ياركندي. ١٤٢٤ هـ

* * *

٧- ثلاث صالونات سعودية

المحيش والقحطاني والنعيم

هذه ثلاث صالونات إضافية، سعودية، أحسائية، أحدها تجاوز السنة العاشرة من عمره (إذ تأسس عام ٢٠٠٣) منتدى الدكتور نبيل المحيش الثقافي، ويقام في منزله بمدينة الهفوف، والآخر " أسبوعية عبد المحسن القحطاني الثقافية، ولم يرد له ذكر في كتاب أحمد الخاني، فإذا كان عمر الصالون موازيا لعمر مطبوعاته، فإنه طبع مجلدين يحويان نصوص ما ألقي فيه من محاضرات، وما جرى من مداخلات عبر موسمين (٢٠١٢ - ٢٠١٣).

أما اثنينية محمد بن صالح النعيم، التي يذكر في وصفها أنها دأبت على تكريم رموز الأدب والنقد والفكر في وطننا العربي الكبير، فإننا لم نجد عنها ما يتجاوز هذه الإشارة، وأنها أسهمت مع منتدى المحيش في إصدار كتابين تكريميين في عام واحد (٢٠٠٧) عن الشاعر " فاروق شوشة " الإعلامي المعروف، حرره طائفة من الشعراء والنقاد، وتناولت بحوثهم قصائد أو ظاهرات فنية بالتعريف والتحليل والإشادة. وعن عثمان موافي (الأستاذ الدكتور بجامعة الإسكندرية، كلية الآداب) وقد حرره نفر من تلاميذه وزملائه ومريديه أشادوا بمنهجه النقدي، ومؤلفاته في النقد الأدبي القديم والحديث، وبأسلوبه في الإشراف والتقويم لرسائل الماجستير والدكتوراه، وما أشبهها.

" منتدى المحيش الثقافي " أفرد له كتاب " الصالونات الأدبية " فقرة مميزة (ص٣٩٧ – ٤١٣) أثبت بها أسماء الشخصيات التي حاضرت بالمنتدى. ولهذا المنتدى وراعيه ملمحان: فهو واحد من منتديات متعددة انتشرت في المنطقة الشرقية من المملكة، وصاحبه (الدكتور المحيش) أستاذ للأدب العربي بإحدى الجامعات السعودية، وقد اتسعت ظاهرة المشاركة من الأكاديميين أساتذة الجامعات في إنشاء الصالونات وتجميع المريدين حولهم.

وإذا كان الدكتور عبد المحسن القحطاني بأسبوعيته الأخيرة ظهورا فإنها الأسبق تطلعا إلى تأسيس مركز ثقافي، وهي الأظهر نشاطا في طباعة مجلدات أنيقة، تعرف بالمحاضرين، وتسجل القضايا أو الموضوعات التي أسهموا بها، واهم التعقيبات التي أبداها الحاضرون.

ويلاحظ – بوجه عام – أن محاضرات الموسم الأول تنحصر في قضايا

وثيقة الاتصال بالحياة في المملكة العربية السعودية، ألقاها مثقفون سعوديون أيضا. أما محاضرات الموسم الثاني فقد اتسعت لتشمل محاضرين من خارج المملكة، كما أصبحت الموضوعات أكثر تنوعا: فيها دراسات نقدية، مثل: " جده بين السرد التاريخي، والسرد الروائي "، و " تأويل النصّ " وفي بعض الموضوعات جدة وطرافة مثل: " خطاب العنصرية في الرواية السعودية "،و" البطالة "، وقد تتسع لأمسية عن " الشهب والنيازك"!!، و " اثر التقدم التقني في حياة المكفوفين ".

لقد زار الدكتور عبد المحسن القحطاني " صالون المعادي " في الجمعة الأخيرة من شهر يونيو ٢٠١٤ (٢٧ / ٦/ ٢٠١٤)، وهو أستاذ دمث الخلق، طيب المجالسة، بعيد عن التكلف، يملك لغة راقية وذوقا وسماحة، وقد أهدى الصالون الجزء الأول من سيرته الذاتية، كتبها تحت عنوان: " بين منزلتين "، وفيه أضاء جوانب من حياة الكفاح ومجالدة الصعوبات التي قدر له أن يعانيها، وكيف كوّن ذاته علميا وشق طريقه بين آكام لا تكاد تجد فيها علامة إرشاد أو توجيه.

في الصفحة الأولى من كتاب سيرته (العنوان الداخلي) إشارة أسعدت نفسي، فقد صدر الكتاب عن: " مركز عبد المحسن القحطاني للدراسات الثقافية "!!، وإذًا فقد رأى المركز النور، بعد أن تاقت نفس صاحبه إلى ظهوره، عبر عن هذا في صدر مقدمته لفاعليات الموسم الأول من أسبوعيته الثقافية (منتصف عام ٢٠١٢)، أما تاريخ نشر " بين منزلتين " فهو ١٤٣٥ هـ = ٢٠١٤، بما يعني أن هذه السيرة باكورة إصدارات المركز..

مقدمة أخيرة

ليس في هذا العنوان مغالطة أو رغبة في المخالفة؛ لدينا مسوغان وليس واحدا؛ ففيما أرى أن كل ما خطته يدي في رصد ظاهرة الصالونات الثقافية والكشف عن آثارها وأنواعها وتحولاتها.. لا يزيد عن كونه " مقدمة " لموضوع عظيم التأثير – إذا ما قدرناه حق قدره، ويسرنا بعض جوانبه – في تنمية الوعي الاجتماعي وتوثيق العلاقات المعرفية. أما المسوغ الآخر فلأن أمر البداية – ربما – كان يحتاج إلى أن أفضي بسر حماستي للموضوع، وخبرتي – إن صحت – بالتجربة، ولعلي فعلت شيئا من هذا في عبارة خاطفة، أو هامش أو تعقيب موجز، وهذا الابتسار انعكاس لحساسية (ربما تكون مبالغة) بأنني لا أريد أن أعطي فرصة لما يمكن أن يعد مباهاة أو تفضلا!! حرصت على أن يبقى الأمر ارتجالا ما أمكن، وأن يكون هذا الصالون الذي أرعاه في بيتي له طابع جماعي لا يتصدر فيه أحد، وقد تمادى هذا الإحساس حتى لم احتفظ لرواده ومحاضريه بأية أوراق أو تسجيلات. أنفت نفسي من المدلين بفضائل ماضيهم، فقطعت الطريق عليها أن تحتفظ بنصوص أو تواريخ تتيح لها يوما أن تتفاخر بأن فلانا الشاعر وجد فرصته لإلقاء أولى قصائده في صالوني، أو أن فلانا الكاتب الشهير.. أنا الذي أعطيته منبرا لم يجده عند غيري.. ليطل منه على الناس.. وما إلى ذلك من غُثاء السلوكيات التي نجد في المكتوب والمروي دليلا عليه في زماننا، ولهذا راعيت عددا من المبادئ التزمت بها ما استطعت: أولها أن أتجنب دعوة المشاهير الذين تورمت نفوسهم بالشعور

بالنجومية من "زبائن" التلفزيون الدائمين خاصة، وألاّ أسأل قادما إلى ضيافة الصالون عن اسمه أو نشاطه ما لم يفض بذلك من تلقاء نفسه، ويبدي رغبته في المشاركة.. وألا يشغلني جانب الإعلام عن الصالون بالصحافة أو الإذاعة، إلاّ أن تكون المبادأة من طرف هذه الأجهزة، كما أن جميع رواد الصالون ما بين الأستاذ الدكتور، والشاعر الناشئ الذي لم يختبر، وباحث الدراسات العليا الذي جاء ليختبر عنوان أطروحته أو يستكشف مرجعا لم يبلغه أمره.. كل من انتظم في المكان.. له الدرجة ذاتها من حق الحفاوة والاحترام والتحية، وإعطائه الفرصة للكلام.. مثل الجميع..

غير أنني الآن، وبعد مضي أكثر من عشرين عاما على انتظام الصالون دون انقطاع (غير أشهر حظر التجول أعقاب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، و٣٠ يونيو ٢٠١٣) أرى أن لبعض المشاركين بفاعلية تتجاوز قدرتي الفردية حقا أن تذكر أسماؤهم، بخاصة الدكتور مصطفى الضبع الناقد الجهير، والأستاذ سيد الوكيل المبدع والناقد الفنان، والدكتور الشاعر عبد الحكم العلامي.. والدكتور الشاعر عايدي علي جمعة..

ليس من الصواب أن يفسر قولي بتجنب المشاهير أن الصالون كان يعمل على اكتشاف الأقلام المجهولة، أو يتحرك في هذا الاتجاه، فما قصدت إليه تماما تجنب المتهافتين على الظهور في وسائل الإعلام، ومثل هؤلاء أعرف أنه لا جدوى (حقيقية) ترجى منهم، ولست (معقدا) من التعامل مع وسائل الإعلام، إنها إحدى إنجازات عصرنا العظيمة، ولكن عالمنا (العربي) خاصة قادر على تحريف كل منجز حضاري وإخراجه عن

دائرة فاعليته الحقيقية ليتحول إلى ضدها. وقد تعاملت مع جميع قنوات التلفزيون المصري، ونشرت في الصحف المتخصصة والعامة، ولكن في إطار ما يحرص عليه (أستاذ بالجامعة). على هذا التقدير نفسه تعامل الصالون مع ضيوفه، كانوا نجوما بحق، وليس بالمعنى المبهرج الذي تفرضه وسائل الإعلام.

فقد أضاءت جنبات الصالون أصوات الشعراء من مختلف الأجيال: الشاعر الدكتور كمال نشأت والشاعر السفير عبد السميع زين الدين، والشاعر الغنائي الكبير سيد حجاب، والشاعر (الخاص جدا) مُحَّد عفيفي مطر، والشاعرة شيرين العدوي، والشاعرة ميسون صقر، والشاعر أحمد إبراهيم (الحائز على جائزة الدولة التشجيعية)، والشاعر إسماعيل بخيت، والشاعر الدكتور مُحَّد حلمي حامد، والشاعرة إيمان بكري، والشاعرة شريفة السيد، والشاعر عاطف عبد العزيز، والشاعر الدكتور عبد الحكم العلامي، والشاعر الدكتور عايدي علي جمعة، والشاعر (البورسعيدي) مُحَّد يونس، والشاعر الدكتور مختار أبو غالي، والشاعر إيهاب البشبيشي (الحائز على جائزة الدولة التشجيعية).

ومن المفكرين والباحثين في قضايا الحضارة والأدب: اللواء جمال حماد (سكرتير اللواء الرئيس مُحَّد نجيب وأمين سره) عن " المسكوت عنه في الراهن المصري " والدكتورة سمية رمضان في: " قراءة روحية في التراث العربي "، والدكتور هاشم توفيق (جامعة حلوان) عن أستاذ الفلسفة فؤاد زكريا عقب رحيله، والدكتور صلاح رزق عن دراسته النقدية للمعلقات، وقد حاز بها جائزة مؤسسة البابطين، والدكتور عبد الغفار مكاوي عن "

المستقبليات وصلتها بالمدينة الفاضلة "، والمستشار سامي زين الدين عن " النظام القضائي في مصر "، والدكتور يحيى جعفر عن " حتمية الشواش "، والمهندس البحري فارس عزيز ميخائيل عن موانئ العالم كما رآها، والدكتور الفنان التشكيلي أحمد عبد الكريم عن أهم اتجاهات الرسم في العالم، والدكتور عزازي علي عزازي عن تجربته صحفيا، ومحافظا للشرقية، والدكتور فاضل الربيعي عن المجهول في قراءة التاريخ، والأستاذ محفوظ عبد الرحمن عن تجربته مع الدراما، والأستاذ مُحَمَّد السيد عيد عن كتابة السيناريو، والدكتور حسين حمودة عن فلسفة النقد الأدبي، والدكتور أيمن تعيلب عن فلسفة الخيال، والدكتور السعيد الباز عن تجديد ذكرى أحمد شوقي، والدكتور زين نصار عن النقد الموسيقي، والدكتور زين عبد الهادي عن آفاق فن المكتبات، والدكتور مُحَمَّد الخليلي بركات عن مستقبل الدراسات العليا في مصر، والأستاذ شعبان يوسف عن واقع الحركة الأدبية في مصر، والدكتور مدحت الجيار عن اتجاهات النقد الأدبي، والدكتور ناجي فوزي رئيس قسم النقد السينمائي بالمعهد العالي للنقد الفني، والأستاذ الدكتور صلاح قنصوة أستاذ فلسفة الفن في المعهد نفسه.

ومن شباب الإعلاميين تردد على الصالون الأدباء: الدكتور خالد عاشور، والدكتور هشام محفوظ، والأستاذ عمرو الشامي، والصحافية الأستاذة مرفت عمارة.

وقد زار الصالون من أدباء الكويت: الدكتور الأديب الأكاديمي سليمان الشطي، والأستاذ عبد العزيز السريع الكاتب المسرحي الشهير، والدكتور مُحَمَّد الرميحي (رئيس تحرير مجلة العربي) والأستاذ مُحَمَّد الراشد كبير

المذيعين بإذاعة وتلفزيون الكويت، والإعلامي الأستاذ الأديب عبدالله خلف.

ومن المملكة السعودية: القاص عواض العصيمي، والأستاذ الدكتور محسن القحطاني، والشاعر عبد الوهاب الفارس.

ومن سورية: أحمد حمودي، والشاعر شاهر خضرا، والروائي فهد العتيق، والقاص فرحان مطر.

ومن ليبيا: الروائي إبراهيم الفقيه.

ومن عمان: الشاعر سعيد الصقلاوي.

ومن العراق: الشاعرة الأديبة سارة السهيل.

ومن لبنان: الأديب الأستاذ بديع أبو حودة.

هذه بعض أو أهم الأسماء ذات الحضور الثقافي المميز، وهي ما نقصد إليه ونحتفي بوجوده بيننا..

أما شركاء الصالون: الدكتور مصطفى الضبع وأخوه الدكتور محمود الضبع، والناقد المبدع سيد الوكيل، والدكتور الشاعر عايدي علي جمعة، فهم بدءا وختاما يمثلون الدعائم والمداخل المضيئة لواحد من صالونات القاهرة التي أرجو أن تكون أضافت نقطة ضوء – مهما كانت صغيرة – في ليلها باهر الجمال.

الفهرس